كتاب في جريدة
أصدرته منظمة اليونسكو عام 1996
عدد 94 - الأربعاء 7 حزيران (يونيو) 2006

أبو تمام

مختارات شعرية

ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب؟

اختارها وقدّم لها محمد مظلوم





الشريك الثقافي



المؤسسة الراعية

الذكرى العاشرة لإنطلاقة «كتاب في جريدة»
الذكرى الستين لتأسيس «اليونسكو»

في إطار احتفالات الذكرى الستين لتأسيس اليونسكو، والذكرى العاشرة لانطلاقة «كتاب في جريدة»، وبدعوة من النائب غسان تويني رئيس تحرير صحيفة النهار اللبنانية، أقيم في جريدة النهار احتفالٌ بحضور السيد كويشيرو ماتسورا مدير عام منظمة اليونسكو، والسيد طارق متري وزير الثقافة اللبناني، والسيد مروان حمادة وزير الاتصالات والآنسة نايلة جبران تويني، والدكتور أحمد الصياد نائب مدير عام اليونسكو للشؤون الخارجية والتعاون والدكتور عبد المنعم عثمان مدير مكتب اليونسكو الاقليمي في بيروت وعدد من الشخصيات الثقافية والإعلامية والتربوية،

ولأسباب خارجة عن إرادته، لم يتمكن من الحضور معالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر، المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والديمقراطية والتسامح، راعي «كتاب في جريدة». وقد مثله في هذه المناسبة الشاعر شوقي عبدالأمير.

فيما يلي نص كلمة كل من المدير العام ومعالي الشيخ محمد بن عيسى الجابر.

كلمة السيد كويشيرو ماتسورا:




السيد الوزير،

السيد المدير،

أصحاب السعادة،

السيدات والسادة،

إن التظاهرة التي تجمعنا هذا اليوم في مقر صحيفة «النهار» بمناسبة الذكرى الستين لإنشاء اليونسكو هي بالنسبة لي مصدرُ إرتياح كبير وعلى أكثرَ من صعيد.

أولاً أنها تقام في بيروت لتشّهد بالطبيعة التي أردت أن أعطيها لإحياء هذه الذكرى: أي أن يُحتفى بها خارج مقر اليونسكو وحتى خارج مواقع اليونسكو بالمعنى العريض للكلمة.

ولهذا أودّ أن أشكركم أيها السيد مدير صحيفة النهار لسماحكم بالقيام بهذه الذكرى في هذا الإطار.

إن مصدر ارتياحي الثاني هو أن هذا الاحتفال يقام حول كتاب. كيف يمكن في بلاد بيبلوس أن لا نشير إلى القيمة الجوهريّة للكتابة في العلاقات بين البشر ومن أجل بناء السلام؟ إن الكتاب الذي نحتفي به اليوم يجمع التأريخ الثقافي لليونسكو أي أنه يقع في قلب وجودنا وهو ما أطلقت عليه إسم "الشعلة الخفيّة".

يضم هذا الكتاب الذي طلبت من الفيلسوف روجيه بول دروا تحضيرَه مُنتخبات واسعةً من نُصوص واستشهادات من أرشيف اليونسكو تؤكد إستمراريةَ استلهام مُنظمتنا منذ تأسيسها وتعددية المشاكل التي واجهتها.

يتوجب علينا اليومَ أن نُحدد أين تقع الرهاناتُ وما هي التحدّيات. وعلينا، في خضم المهمة التي تقع على عاتقنا، أن نحدد الاسبقيات والميادين ذات الطابع الاستراتيجي.

بعد الانتهاء مباشرة من الحرب، شكلت المعركةُ الصارمةُ من أجل إجتثاث العنصرية محوراً كبيراً سمح لليونسكو بالمساهمة بشكل حاسم بالقيام بتحول جذري للأخلاقيات. تلى ذلك التخطيط للنظم التربوية لتفرض نفسها كرهان جوهري بحيث احتلت اليونسكو موقع الصدارة في هذا الميدان. كما أن بُروزَ مفهوم التراث المشترك للانسانية كرد فعل للمخاطر التي كانت تتهدد في سنوات السبعين معابد النوبة قد شكلت مساهمة أساسيّة لليونسكو من أجل رؤية جديدة للعالم بحيث أصبحَ قَرنُنا يُدركُ إلى أي مدى صارت هذه الرؤية حيوية من أجل مستقبل الإنسانية.

وأنا شخصياً إقترحت أن يكون التعليم للجميع والمياه وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا والتنوع الثقافي وبناء مجتمعات المعرفة القائمة على حرية إنتقال الأفكار، من أولى أسبقيات اليونسكو لعصرنا هذا وقد أقرّ المؤتمر العام هذا الاختيار.

إن النظرُ من بعيد إلى هذا الكتاب يُظهر أن اليونسكو قد نهجت على الدوام نوعيَن من المبادرات: الاستباقُ من جهة والأمانة للاستلهام الأساسي الثابت في رسالة اليونسكو والذي يهدف إلى «رفع حصون السلام في عقول البشر» من جهة أخرى.

هذه المبادئ تمنحني في الواقع السبب الثالث لإحساسي بالسعادة الكبيرة في هذا الاحتفال الذي يجمعنا حيث أنه يجري في مقر صحيفة يوميّة كبرى.

في الواقع إن أوّل المبادئ التي أقرها الميثاق التأسيسي هي «حريّة إنتقال الأفكار بالنص والصورة». وهو يشكل منطلقاً لكل المبادئ الأخرى وفي نفس الوقت التعبير الأسمى عن «المثال الديمقراطي للكرامة والمساواة وإحترام الكائن البشري».

إن حرية وتعددية الصحافة هما الشرطان الضروريان لممارسة حق الكرامة الذي يُؤمنُ لكل شخص "حريّةٌ البحث عن الحقيقة"، الأمر الذي يفترضُ توفرَ التعدديّة والمستوى الرفيع لمصادر المعلومات.

أودُّ في هذا الإطار أن أحيي وبكُلِّ حماس الصحفيين اللبنانيين اللذين قدّما حياتيهما وهما يمارسان عملهما الصحفي؛ سمير قصير وجبران تويني. لقد كانا كلاهما مناضلين شديدي المراس من أجل حرية التعبير والتفكير التي كم هي ضرورية من أجل تقدم الإنسانية. إعلموا أنني أشارك بكل مشاعري في الحداد الذي تكابدُه صحيفة "النهار" التي تعرضت مرّتين خلال شهور لضربة قاسية ومن خلالها لبنان بأكمله.

وأهنّئ نفسي بأن جائزة «اليونسكو غويرمو كانو» لحرية التعبير قد منحت هذه السنة إلى مواطنة لبنانية كبيرة؛ وهي الصحفيّة مي شدياق التي تعرّضت هي الأخرى لمحاولة إغتيال. سأمنحها رسمياً بعد بضعة أيام في سيريلانكا هذه الجائزة، ليتمكن هذا الامتياز الدولي من أن يحمل، باسم كل ضحايا الجرائم البشعة، شعلة الحرية الأساسية والحيوية لمستقبل الإنسانية.

السيد الوزير، السيد المدير

بعد إختيار منتخبات من هذا الكتاب «الانسانية في طور البناء» ونشرها في «كتاب في جريدة» وهو المشروع الذي قدّمت له اليونسكو دعمها منذ انطلاقته فإن الـ91 صحيفة المشاركة في برنامج عمله تكون قد نشرت صدى اليونسكو بين الملايين من القراء لتسهم عبر ذلك بأن تضع بين أيدي كل المواطنين والقراء ما نريد أن نقدّمه في الذكرى الستين ولهذا فأنا أشكرهم من كل قلبي.

واليوم فإن نشر الكتاب بكامله في اللغة العربية هو ما يمكن أن يحدث بفضل مبادرتكم أيّها السيد المدير إنطلاقاً من الترجمة التي تمّت تحت رعاية اليونسكو وبمبادرة منها. لقد كنت آمل بحرارة أن ينتقل هذا الكتاب الغني بالأفكار وبالمعلومات إلى أيدي قراء اللغة العربية كما هو الحال في اللغة الفرنسية والانكليزية. وهذا ما سيكون أمراً منجزاً خلال أشهر بفضل دعم مؤسسة "النهار" بالتنسيق مع مكتبنا في بيروت. إنني سعيد جداً وأشكر السيد شوقي عبدالأمير المندوب الدائم المساعد للعراق لدى اليونسكو الذي لم يدّخر جهداً لانجاز هذا المشروع بكامله والذي كانت فكرته منذ البداية.

يُعلّمنا هذا الكتاب أن الانسانية بجوهرها ما زالت في طور البناء وهي ليست منجزةً ولا متحققةً قط. ولذا فإن من واجبنا العمل من أجل ذلك باستمرار وأنه لشرف لليونسكو أن تشجع وتبعث الأمل في هذه المهمة.

أشكركم

كلمة الشيخ محمد بن عيسى الجابر
المبعوث الخاص للمدير العام لليونسكو للتربية والتسامح والديمقراطية راعي «كتاب في جريدة»:

السيّد مدير عام اليونسكو

السيد وزير الثقافة

السيد رئيس التحرير

إنّها مناسبةٌ تجمع عدّة مُناسبات وكُلُّها مُحمّلةٌ بالرموز والدلالات الكبيرةْ،

فهي زيارةُ السيد كويشيرو ماتسورا مُدير عام منظمةَ اليونسكوَ إلى بيروتَ عاصمة الثقافة العربيّة الدائمة،

وهي الذكرى الستّون لتأسيس اليونسكوَ الحضَن الدَولِيِّ الأرحب لبناء الإنسان والسَلامْ

وهي الذكرى العاشرةُ لإنطلاقةَ «كتاب في جريدة»، أكبرَ مشروع ثقافيٍّ عربي مُشترك من بيروتَ المكافحة دائماً من أجل مُجتمع مُتحرّر تعدّدي وديمقراطي تتعَايشُ فيه كلُ أشكال الطيف الحَضاريِّ البشريِّ عرقيًّا ودينيًّا، تَحتَ سَقَف صحيفة «النَهار»، التي احتفلتْ هي الأخرى بالذكرى السبعَين لتأسيسَها قبلَ أعوام، منبر الكلمة الحرّة التي قدّمتْ من أجلَه قبل بضَعة شهور شهيدين من أبنائها (جبران تويني وسمير قصير) الذين أفاضوا دماءَهم حبراً وكلمَات أكثرَ إشعاعاً وخُلوَداً،

وها هي مُنظمةُ اليونسكو مُمثلةٌ بالسيد المدير العام تقدّم جائزة حرية الصحافة العالمية لهذا العام 2006 للصحفية التلفزيونية اللبنانية التي تُعرف اليوم بـ «الشهيدة الحيّة مي شدياق» لتُؤكّدَ كما في كُلِّ مرّة وقوفَها دائماً وأبداً في صَفِّ أحرار العالم من أجل بناء إنسانية أفضلَ سعياً وراءَ المبادئ السامية التي تحملُها اليونسكو، واستكمالاً للمسيرة الإنسانية الطويلة من أجل تربيَة جَيل قائمٍ على المعرفة والديمقراطية والتسامَح...

إن إجتمَاعاً كهذاَ لا يمكّن إلاّ أن يكّونَ شُعلةً مُكتنزةً بالنور والَعطاء والأمل...

وبهذه المناسبة فإنني أودُّ أن أُعبّرَ لكم عن سعادتي البالغَة بالسيرَ يداً بيد مع منظمة اليونسكو لدعم كُلِّ مشاريعها التنوريّة والإنسانية في مُجتمعنا العربي من مُحيطه إلى خَليجه وأنْ أضَعَ نفسَي في خدمة المُثلَ الانسانية العُلياَ التي من أجَلها شُيّدت منظمةُ اليونسكو لأننَي أُؤمنُ بأن لهذه المَنظمة دوراً كبيراً بين ظهرانينا وأننا اليومَ في كُلّ الدوَل العربية بحاجة إلىَ حُضورِها ومشارَكتها في جَميع ميادين إختصاصَها...

ومن أجلَ هذا سبقَ لي أنْ وَقّعتُ برُوتوَكولاً طموحاً مع السيد كويشيرو ماتسورا في 2002 من أجل تَطوير، تحديث وإصلاح النظام التَعليميِّ في الشرق الأوسط والذي بدأ فعلاً تنفيذَهُ بما يَسمحُ للنهوض بمشاريعَ تَنموية كُبرَى وتشَجيع ثقافَة السلامَ وبناء الَديمقراطية بالإضافَة إلى التبنّي الكُلّي لمشروعِ اليونسكو الرائد والذي كَان يمرُّ بفترة عصيبةٍ «كتاب فَي جريدَة» وهوَ اليومَ يُدركُ سنَتَهُ العاشرةَ تَحتَ رعايتنا ودعمنا.

إنّ «كتاب في جريدة» هو الخيمةُ العربيّةُ الكُبرى التي تَجمعُ القارئَ العربي في كُل مكان وقد أصبحَ اليوم بعدَ عشرة سنوات من تأسيسه صَرحاً ثقافياً في حاضرتنا العربيّة وجسراً لا بُدّ منهُ بين مبدعي الكلمةِ وقُرّائهَا، من أجل نشرِ المعرفةِ وبناءَ الإنسانِ العربي في عَصر حوار الحضارات والعَولمة.

وأودُّ في الختام أن أقوَلَ مع السيَد المدير العام في كلمته بمناسبة الذكرى الستين لليونسكو:

«إنّ علينا أن نُركّزَ إهتمامَنا على الإلهام الأخلاقي لليونسكو والحوار والتعاون وإرساء المعايير وتَناسُق تطورها وسُبل رقيِّها... من أجل إعادة استكشاف الشُعلة الخفيةَ لليونسكو» فالإنسانية حقاً – كما هَو عنوانَ كتابنا – هي دائماً في طَور البناءَ وأن دورَ اليونسكو هوَ المشاركةُ فَي هذه المهمةِ الهائلة وإنه لَيشُرّفني أن أُقدّمَ مُساهمتَي المتواضعَة في دعمِ مَسيرتهاَ النبيلَة هذه.



مختارات شعرية

ما بالٌ لا شيءٍ عليه حجابٌ؟

أبو تمام

اختيار وتقديم محمد مظلوم

ولد أبو تمام : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي الحوراني سنة 188 هجرية – 804 ميلادية، في قرية جاسم على بعد حوالي خمسين كيلومتراً عن دمشق، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان: «وأصله من قرية جاسم من عمل الجيدور بالقرب من طبرية».

انتقل إلى دمشق حيث عمل في حداثته حائكا، ثم انتقل إلى حمص وتعرف فيها على ديك الجن الحمصي ومنها بدأتْ رحلتهُ مع الشعر، ثم غادر إلى مصر في صباه، فعمل سقاء في المسجد الجامع، ذاع صيته فاستقدمه المعتصم إلى عاصمته الجديدة: سامراء بعد أن أنتقل إليها من بغداد، تنقل في آسيا الوسطى وأقام فترة في خراسان.

مما جاء عنه في الأغاني «ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً بالشعر في حياة أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه» وكان قد امتدح عبد الله بن طاهر أمير خراسان فنثر عليه الأخير ألف دينار، فلم يلتقط منها شيئاً بل تركها لمن حوله يلتقطونها.

البحث عن شخصية أبي تمام في متون كتب التراث سيصطدم بقلق متعدد الأوجه سواء في نسبه أو في ديانته أو في مذهبه السياسي، إضافة إلى ارتحالآت لا تخلو من نزوع لطموح غير مدرك، ما بين مدن الشام ومصر والعراق وخراسان ستشابهها بعد حين رحلة المتنبي وتتصل بقلقه، نسبةً ومذهباً سياسياً وتعبيراً عن هذا القلق.

إذ يستند المستشرق الإنكليزي دافيد صموئيل مارجليوث على واحدة من الروايات التي ترد ضمن أقوال متعددة تشير إلى أن أباه كان نصرانياً ويدعى تيدوس العطار فغيره إلى أوس، وانتسب إلى طيء.

وذهب طه حسين نحو أبعد مما رآه مارجليوث حين بنى على اسم «تيدوس» فكرة سعى من خلالها إلى إيجاد تفسير مفترض لجذور الثقافة العميقة في شعر هذا الإعرابي، فعقد نوعاً من الصلة بين فكر أبي تمام الذي تطفح به أشعاره ومرجعيته، وبين «حكمة أثينا» مشيراً إلى إن اسم تيدوس قد يشير إلى الأصول الإغريقية، ويفسر هذه الثقافة المغايرة في تجربته الشعرية.

وسواء كان مسلماً أم مسيحياً، عربياً أم يونانياً، فإن تاريخ الشعر العربي لم يخبرنا عن شاعر حاز المعرفة بتراث الشعر العربي، وبأخبار الأولين وأنسابهم كأبي تمام، إذ له العديد من كتب المختارات الشعرية أشهرها الحماستان: الحماسة الكبرى «ديوان الحماسة» و«الوحشيات» وهو «الحماسة الصغرى» إضافة إلى «فحول الشعراء» و «أشعار القبائل»

يميل النقد العربي القديم إلى عقد مقارنة بينه وبين المتنبي والبحتري، حتى أن الآمدي خصص كتاباً، أسماه «الموازنة بين الطائيين» لكن البحتري نفسه يحسم الأمر بقوله: نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تتخفض عند سمائه.

كما إنه سبق المتنبي في إشغال الناس والنقاد بأمرين هما: حقيقة نسبه، ومستوى شعره ومقايسته بمعاصريه والقريبين منه، بينما عاش في عصر لم يجدْ فيه مرحبين كثراً، ولم تبدُ حياته مستقرة في أي من الأماكن التي عاش فيها وهو ما يتضح في شعره، بتعبيرات متعاضدة عن قلق الإقامة، ووحشة السفر، وطلب الأصعب.

توفي في الموصل سنة 231 هـ – 846 م بعد أن عاش فيها سنتين والياً على بريدها.

يمكن وصف أبي تمام بأنه شاعر الطبع والصنعة بامتياز، وهو سيد الصور المركبة من غرائب التشبيهات، والعلاقات غير المعهودة بين المفردات في الشعر العربي والنحت الصعب والزخرفة الباروكية العميقة التي لا تتوقف عند حدود الديباجة بل تذهب نحو تزيين الباطن الصعب للمعاني ، وتعد تراكيبه اللغوية، بالمسالك الوعرة التي تسلكها، تمهيداً لمسارات لم تكن مطروقة في الشعر العربي قبل أن يسيِّر بها أبو تمام ركبه.

قصيدته مجلجلة كالحروب التي يوغل في وصفها بقدرة تقارب الملحمية، وهي موَّارة بالصور المبتكرة ذات الأطياف العميقة المستمدة من تجربة في التجوال، وتأمل في الوحدة، وفي معرفة أخبار الأوَّلين وأيامهم وعقائدهم، وقد أتاحت له ثقافته تلك، قاموساً بعيد الغور في تناول المعاني والتقاط جديدها، وشعره يصلح أن يكون نموذجاً متقدماً لدراسة الموارد المعرفية التي تصب في بحر قصيدته.

اعتمدت هذه المختارات على شعر أبي تمام خالصاً ومخلَّصاً من وطأة مناسبته، في نسق شعري يتلبس غالباً بالغرض، لكنه يتجلى في صفائه، حتى وهو في غرضه، كما في الأغلب من مرثياته.

والحاصل إن مدائح أبي تمام ذاتها تندرج في سياق «الغرض الشعري» أكثر من اندراجها في تعظيم السلطان، خاصة وإن عدد ممدوحيه زاد على الخمسين، وليس جميعهم من ذي النفوذ العالي.

اختيار عنوان «مابالٌ لا شيء عليه حجابٌ» لهذه المختارات، وهي شطر من أحد أبياته، لم يأت لقوة جذبه التعبيرية فحسب، بل لأنه يجسد في كثافته إحدى الثيمات الأساسية التي ستبرز أمام القارئ لهذه المختارات دون شك.

كما حاولت إعطاء هذه المختارات صفة «المجموعة الشعرية» وبما يجعل منها في الوقت نفسه متضمنة صورة تقريبية عن مجمل شعر أبي تمام، بشقيه الفني وبتجربته الذاتية، إذ تبدو هذه التجربة في سياق الديوان الكامل وكأنها مبددة في أغراض متعددة.

رأيت من الضرورة شرح بعض المفردات في القصائد، خاصة وإن بعضها لا يقف عند حدود المعاني المعجمية، وإنما يتصل ببعد ثقافي آخر.

ربما من المهم الإشارة إلى إن معظم القراءات التي تصدت لتقييم شعر أبي تمام انطلقت في الواقع من «مناقشة» للآراء النقدية التي تناولت تجربته، ولذلك فإن معظم الآراء المتحصلة من تلك القراءات لا تخرج عن ثنائية التبجيل / التنكيل، من هنا تبقى قراءة فنية جمالية متخففة من عبء الإرث النقدي الذي يحيط بشعره، حاجة حقيقية رغم ما يكتنفها من صعوبات وسط هذا الخضم الواسع من الآراء المتناقضة، خاصة وإن شعره لا يزال حجة فنية في تأويل علاقة القارئ بالشعر في زمننا المأزوم ومأزقنا التعبيري.

الفن الإسلامي

الصور والرسوم التي ترافق هذا العدد اختيرت من عدد من المؤلفات الخاصة بتأريخ الفن الإسلامي أهمها: «تاريخ الفن – التصوير الاسلامي» – د. ثروت عكاشة – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – 1977.

وقد توخّينا في ذلك إعطاء مناخ تشكيلي مقارب جهد الإمكان للفترة التي عاشها أبو تمام وكذلك إختيار موضوعات المنمنات أو الرسوم. هذه الرسوم لا تنشر هنا للمرّة الأولى ولكنها في غالبيتها غير معروفة للطبقة الكبيرة من قراء «كتاب في جريدة» ومن هنا أهمية إعادة نشر البعض منها.

يشكر «كتاب في جريدة» الدكتور هشام نشابة، رئيس مجلس إدارة المعاهد العليا في جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، عضو الهيئة الاستشارية في «كتاب في جريدة»، للمساعدة التي قدمها لنا في هذا الإطار من خلال توفيره العديد من المؤلفات القيمة الموجودة في المكتبة العامة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

صورة الغلاف:
عن مخطوطة تضم مختارات من النصوص الصوفية تعود إلى نهاية القرن الرابع عشر في إيران متحف الفن التركي والإسلامي، اسطنبول.

كتاب في جريدة
العدد الثامن والعشرون
التسلسل العام: عدد رقم 94
(7 حزيران 2006)
ص.ب 1460-11. بيروت، لبنان
تلفون/ فاكس 630 248 (1-961+)
تلفون 219 330 (3-961+)
kitabfj@cyberia.net.lb
kitabfijarida@hotmail.com



مختارات شعرية

ما بالُ لا شيءٍ عليه حجابُ؟

أبو تمام

ليل القصيدة

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللسانِ قلادَةٌ   سِمْطَانِ فِيْهَا اللؤلؤُ المَكْنُونُ
حُذِيَتْ حِذَاءَ الحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ   وأجَادَهَا التخصيرُ والتلسِيْنُ
إنسيَّةٌ وحشيَّةٌ كَثُرَتْ بها   حَرَكَاتُ أهلِ الأرضِ وهيَ سكونُ
يَنبوعُها خَضِلٌ وحَلْيُ قَريضِها   حَلْيُ الهَدِيِّ وَنَسْجُهَا مَوْضُونُ [1]
أمَا المَعَانِي فَهْيَ أبكارٌ إذا   نَصَّتْ ولكنَّ القوافِيَ عَوْنُ
أَحذاكَها صنعَ اللسانِ يَمُدُّهُ   جَفرٌ إذا نَضَبَ الكلامُ مَعِينُ [2]
وَيُسيءُ بِالإحسانِ ظَنّاً لا كَمَن   هُوَ بِابنِهِ وَبِشِعرِهِ مَفتونُ

وليلها الآخر..

خُذها مُغَرِّبَةً في الأرْضِ آنِسَةً   بِكُلِّ فَهْمٍ غَريبٍ حِينَ تَغْتَرِبُ
مِنْ كُلِّ قافيةٍ فيها إذا اجتنيتْ   مِنْ كلٍّ ما يَجْتَنيهِ المُدْنَفُ الوَصِبُ
الجِدُّ والهَزْلُ في تَوْشيعِ لُحْمَتِها   والنُّبلُ والسُّخفُ والأشجانُ والطربُ
لا يُستَقى مِن جَفيرِ الكُتْبِ رَوْنَقُها   ولم تَزلْ تَسْتَقِي مِن بَحْرِها الكُتُبُ



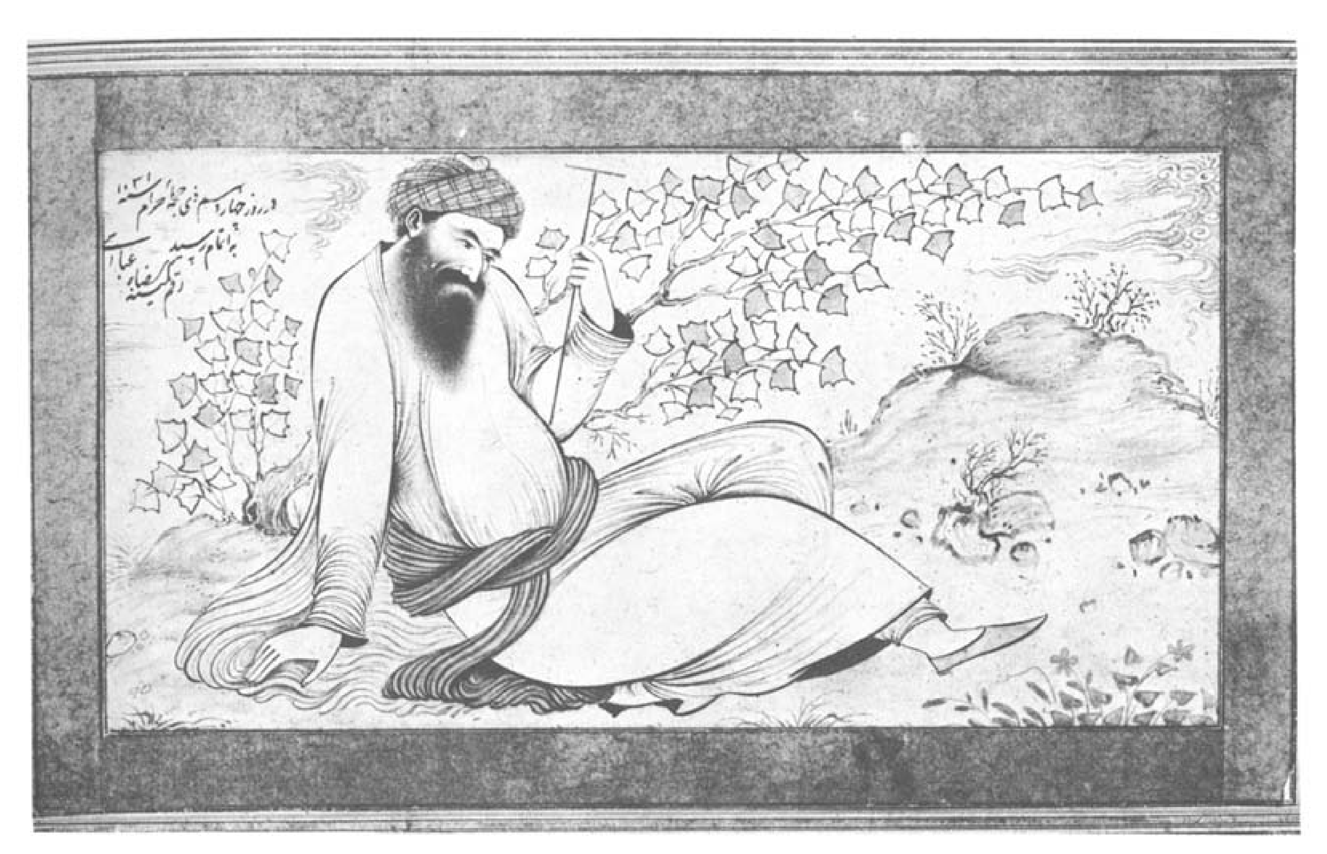
رقص الدراويش – المكتبة البودلية بأكسفورد.

السراب في فناء البيت.

فاضَ اللئامُ وَغَاضتِ الأحساب   واجْتُثتِ العلياءُ والآدَابُ
فَكأنَّ يومَ البعْثِ فاجأَهُمْ فلا   أنْسَابَ بَينَهُمُ ولاْ أسْبَاب
هَبْ مَنْ له شيءٌ يُريدُ حِجَابَهُ   ما بَالُ لاشيءٍ عَليْهِ حِجابُ؟
ما إنْ سَمِعْتُ ولاْ أراني سَامِعاً   أبداً بِصَحْراءٍ عَلَيها بابُ
مَنْ كانَ مفقودَ الحَياءِ فَوَجْهُهُ   مِنْ غيرِ بَوَّابٍ لهُ بَوَّابُ
مازَالَ وسواسي لِعقْلي خَادعاً   حتَّى رَجَا مَطَراً وَلَيْسَ سحاب
ما كنتُ أَدري – لا دَرَيتُ – بِأَنَّه   يجري بأفنيةِ البُيوتِ سَرابُ.

[1] الهدي: ما يهدى إلى الحرم من الأنعام والأكباش، والموضونة المنسوجة بالجواهر.. جاء في القرآن الكريم: (على سرر موضونة)

[2] الجيفر: البئر الواسعة



درويش يتأمل – من تصوير رضا عباسي – دار الكتب القومية بباريس.

خليفة الخضر

مـا الـيـومُ أولُ تَـوْديـع ولا الـثَّـاني   الـبينُ أكثرُ مـن شـوقـي وأحْـزاني
دَع الـفِـرَاقَ فـإنَّ الـدَّهْـرَ سَـاعـدَه   فصارَ أملكَ مِـنْ رُوحي بِجُثْماني
خَليفَةُ الْخِضْرِ مَنْ يربَعْ على وَطَنٍ   في بـلـدة فَظُهُوْرُ العيسِ أوْطَاني
بـالشَّام أهلي وبَغدادُ الهَوَى وَأنا   بـالـرقَّتين، وبـالـفُسْطاطِ إخْواني
وَما أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بمَا صَنَعَتْ   حتَّى تُطَوِّحَ بي أقصى خُراسانِ
خَلَّفْتُ بالأُفُق الغَرْبيِّ لِيْ سَكَناً   قدْ كانَ عيشي بِهِ حلواً بحُلوانِ
غُصْنٌ مَنَ البَانِ مُهْتَزٌّ على قَمَر   يهتزُّ مثلَ اهتزازِ الغُصن في البانِ
أفنيتُ من بَعده فيضَ الدُّمُوعِ كَما   أفنيتُ في هجْرِه صَبري وسُلواني
وليسَ يَعْرِفُ كُنْهَ الوَصْلِ صَاحِبُه   حتَّى يُغادَىْ بنأيٍ أو بهِجرانِ

كسوف أبيض!

نَسَجَ المَشِيبُ لـهُ لِفاعاً مُغْدفَا   يـقـقـاً فقنَّعَ مِذرَوَيْه وَنَصَّفا[3]
نَظَرُ الزمانِ إليهِ قطَّعَ دونَهُ   نَظَرَ الشقيقِ تَحسُّراً وَتَلهُّفا
ما اسوَدَّ حتَّى ابيَضَّ كَالكَرمِ الذي   لَمْ يَأنِ حتَّى جِيءَ كَيْمَا يُقْطَفا
لمّا تـفـوَّفت الخطوبُ سَوداَهَا   بِبَياضِها عَبَثَتْ به فَتَفَوَّفا[4]
ما كانَ يَخْطُرُ قبلَ ذا في فِكْرِهِ   في البدرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أنْ يكسِفا

بحر في لحد

كَذَاْ فليجلَّ [5] الخطبُ وليفدحِ الأمْرُ   فـليسَ لعينٍ لمْ يفِضْ ماؤها عُذرُ
تـوفِّيتِ الآمـالُ بـعـدَ مُحَمـد   وأصبحَ في شُغلٍ عنِ السَفَرِ السفرُ
ومـا كـانَ إلا مـالَ مَـنْ قـلَّ مـالُـهُ   وذخـراً لمنْ أمسى وليسَ لـهُ ذُخرُ
وما كانَ يدري مجتدي جودِ كفِّه   إذا ما استهلَّتْ أنَّه خُلِقَ العُسْرُ
ألا في سبيلِ اللهِ منْ عُطِّلتْ لهُ   فِجَاجُ سَبيلِ اللهِ وانثغَرَ الثَّغْرُ
فَتًى كُلَّما فاضَتْ عُيونُ قَبيلة   دماً ضَحكتْ عنه الأحاديثُ والذكْرُ
فتى ماتَ بين الضربِ والطعنِ ميتة   تقومُ مقامَ النصرِ إنْ فاتهَ النصرُ
وما ماتَ حتَّى ماتَ مَضربُ سَيفِه   مِنَ الضَّرْبِ واعْتَلَّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
وقد كانَ فَوْتُ المْوتِ سَهْلاً فردَّهُ   إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعَافُ العارَ حتَّى كأنَّهُ   هو الكفرُ يومَ الروعِ أوْ دونَهُ الكُفرُ
فأثبتَ في مُستنقعِ المْوتِ رِجْلَهُ   وقالَ لها: منْ تحتِ أخمُصِك الحَشرُ
غَدَا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائِهِ   فلمْ ينصَرفْ إلا وأكفانُه الأجْرُ
تردَّى ثيابَ المَوتِ حُمْراً فَما أتى   لها الليلُ إلاَّ وهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خَضْرُ
فتىً كانَ عَذْبَ الرُّوحِ لا مِنْ غَضاضَة   ولـكـنَّ كبراً أنْ يقالَ بهِ كِبْرُ!
فتى سلبتهُ الخيلُ وهوَ حمى لها   وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْوَ لها جَمْر
وَقَد كانَتِ البيضُ المَآثيرُ في الوَغى   بَواتِرَ فَهيَ الآنَ مِن بَعدِهِ بُترُ
أَمِن بَعدِ طَيِّ الحادِثاتِ مُحَمَّداً   يَكونُ لأَثوابِ النَدى أَبَداً نَشرُ
إذا شجراتُ العرفِ جذَّتْ[6] أصولَها   ففي أيِّ فرعٍ يوجدُ الورَقُ النضْرُ؟
لَئِنْ أُبغِضَ الدَّهْرُ الخَؤونُ لِفَقْده   لَعَهْدِي بهِ ممَّنْ يُحَبُّ له الدَّهْرُ
سقى الغَيْثُ غيثاً وارتِ الأرضُ شَخْصَهُ   وإنْ لم يكنْ فيهِ سحابٌ ولا قَطْرُ
وكيفَ احْتِمالي للسَّحابِ صَنيْعة   بإسقائها قَبْراً وفي لَحده البَحْرُ!
مَضَى طاهرَ الأثوابِ لمْ تبْقَ روضة   غداة ثَوَى إلا اشتهتْ أنَّها قَبْرُ

[3] مغدفاً: الواسع والمسترسل واليقق: البياض، ومذرويه (أي جانبي رأسه بمعنى: فوديه)

[4] تفوف: تجاور البياض مع السواد، وبُرد مفوف: مخطط بالأبيض.

[5] عدا عن الاستهلال غير المعهود في الشعر العربي «بكذا» نجد إن الفعل المضارع «يجلّ» مبني على الفتح هنا، وذلك لاتصاله بنون توكيد محذوفة، لاجتماع لام الأمر والتوكيد.

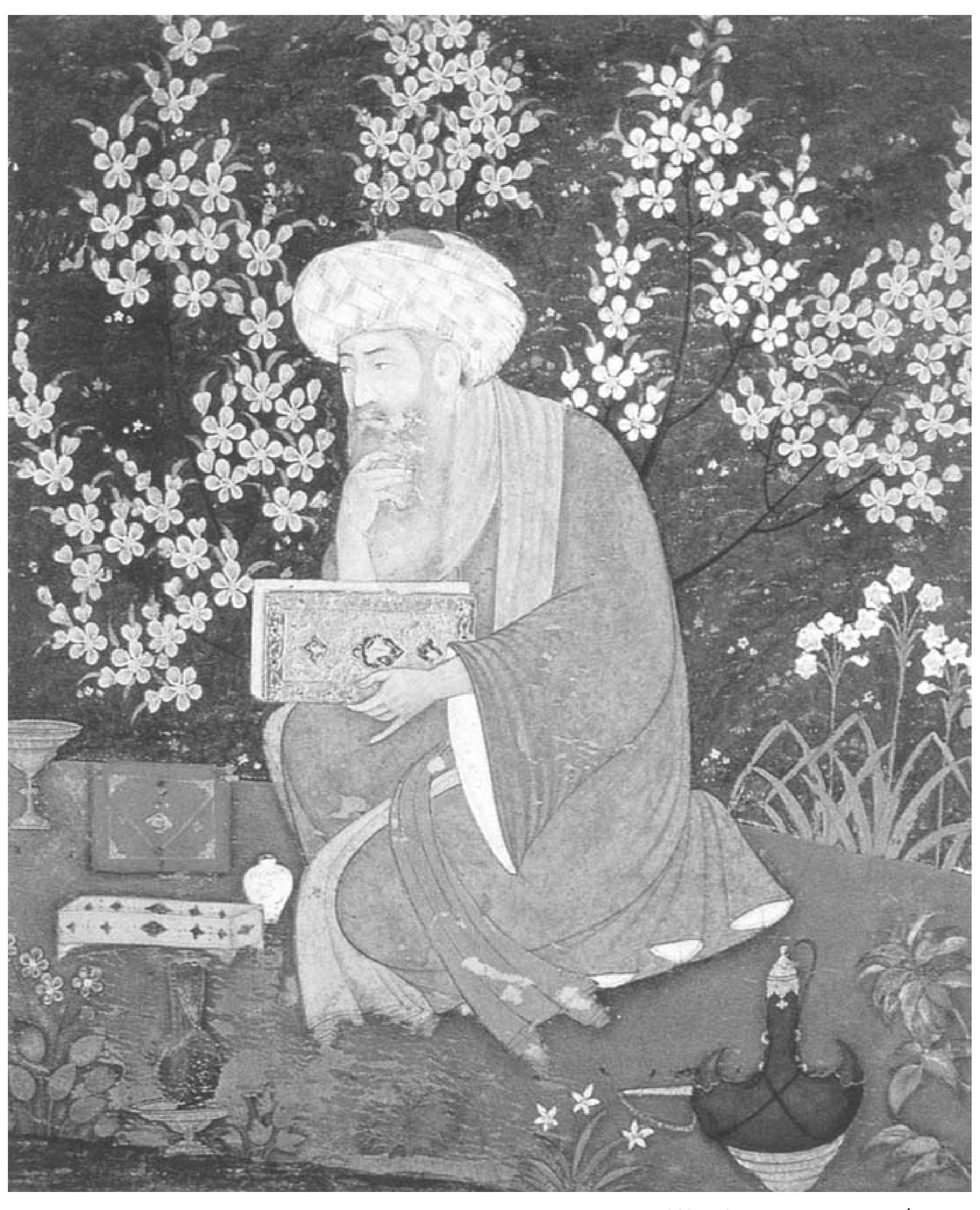
[6] جذّت: قطعت

لا أنت أنت

لا أنتَ أنتَ ولا الـــدِّيـــارُ دِيـــار　　　خـفَّ الــهـوى وتَـوَلَّـتِ الأوْطَـارُ
كـانَـتْ مجاورة الـطُّـلول وأَهلِها　　　زَمـنـاً عِـذابَ الـوردِ فـهـي بـحـارُ
أيَّـامَ تُـدْمِـي عَـيـنَـه تِـلكَ الـدُّمـى　　　فِـيْـهَـا وتَـقْـمُـرُ لـبَّـهُ الأقْـمَـارُ
إذ لا صَـدوفُ ولا كَـنودُ اسماهُما　　　كــالمعـــنـــيين ولا نـــوارُ نـــوار[7]
بـيضٌ فَـهـنَّ إذا رُمِـقْـنَ سَـوافِـراً　　　صـــورٌ وهـــنَّ إذا رمـــقـــنَ صـــوارُ[8]
في حَيثُ يُمتهنُ الحَديثُ لِذي الصب　　　وتُـــحصَّـــنُ الأســـرَار والأَســـرارُ
إذْ في الـقـتـادةِ وهـي أبـخـلُ أيـكـة　　　ثَـــمـــرٌ وإذ عُـــودُ الـــزَّمـــانِ نُـــضـــارُ

وَطَن سِوَى وَطَني

أَرَاكَ أكـبَـرْتَ إدْمَاني علـى الـدمَنِ　　　وحـملـيَ الشوقَ منْ بادٍ ومكتمنِ[9]
لا تـكثرنَّ مـلامـي إنْ عَـكـفتُ عـلى　　　رَبْعِ الحَبيبِ فلَمْ أعكف على وَثَنِ
سلوتُ إنْ كنتُ أدري ما تقولُ إذنْ　　　مجَّتْ مـقـالـتَـهـا في وجْـهـهـا أذُني
الحُّبُّ أَوْلى بِـقَـلْـبـي في تَـصَـرُّفِـهِ　　　مَـنْ أَن يُـغـادِرَني يَـوْمـاً بـلا شَجَنِ
حَلَبْتُ صَرْفَ النَّوى صَرْفَ الأَسَى وحَداً　　　بـالـبَـثِّ في دَوْلـةِ الإغْرام والـدَّدَنِ[10]
مما وجَدْتُ على الأحشاءِ أوقدَ منْ　　　دَمْعٍ على وَطَنٍ لي في سِوَى وَطَني
صَيَّرْتُ لي مِنْ تَبارِي عَبْرَتي سَكَناً　　　مذْ صرتُ فرداً بلا إلفٍ ولا سَكَنِ
مَـنْ ذَا يُـعظِّمُ مِقْدَارَ السُّرورِ بِمَنْ　　　يـهوى إذا لم يـعظمْ موضعَ الحزنِ؟
البـيد والـعيسُ والليلُ التمامُ معا　　　ثـــلاثـــة أبـــداً يُـــقـــرنَّ في قَـــرَنِ.



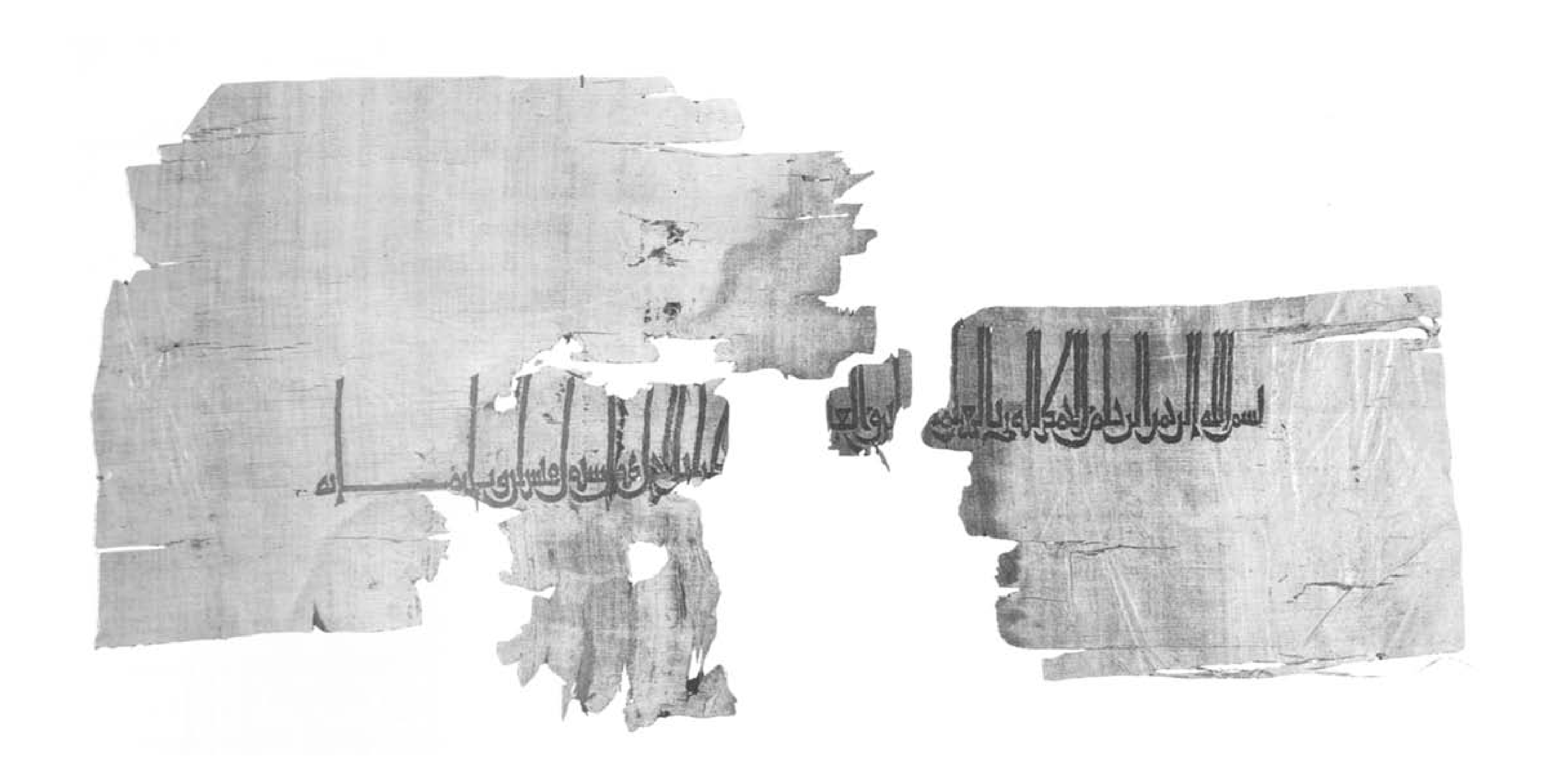
شاعر في حديقة – الطراز المنغولي، 15 – 1605 – متحف الفنون الجميلة، بوسطن.

[7] الصدوف : الإعراض عن الشيء، والكنود: الكفر بالنعمة

[8] الصوار، قطيع البقر المتوحش

[9] المكتمن: الخافي المضمر.

[10] الددن: اللهو واللعب



رسوم قماش – القرن العاشر 932م (العراق أو إيران) – متحف الأقمشة، واشنطن.

شرق وغرب

لَقَدْ أَخَذَتْ مِن دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ   أُنحلُ المَغَانِي لِلْبلَى هِيَ أَمْ نَهْبُ!

وعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقِضُ العَهْدِ بَدْرُهَا   مُراحُ الهوى فِيْها وَمَسْرَحُهُ الخِصبُ

مُؤَزَّرَة مِنْ صَنْعَة الوَبْل والنَّدَى   بوشي ولاْ وَشْيٌ، وعَصبٍ ولا عَصبُ

تَحَيَّر في آرَامِها الحُسْنُ، فَاغتَدتْ   قَرَارَة مَنْ يُصْبِي ونُجْعَةَ مَنْ يَصْبُو[11]

سَواكِنُ في بِرٍّ كما سَكَنَ الدُّمَى   نَوافِرُ مِنْ سُوءٍ كما نَفَرَ السَّرْبُ[12]

كواعبُ أترابٌ لغيداءَ أصْبَحَتْ   وليسَ لَها في الحُسْنِ شَكْلٌ ولا تِرْبُ

لها منظرٌ قيدُ النَّواظِرِ لمْ يزلْ   يروحُ ويغدو في خُفارتِه الحُبُّ

يَظَلُّ سَرَاةُ القَوْم مَثْنَى ومَوْحَدا   نشاوى بعينيها كأَنَّهمُ شَرْبُ

مَضَوْا وهُمُ أَوْتَادُ نَجْدٍ وأَرْضِهَا   يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الخَطْبُ

وما كانَ بيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وبينهمْ   سوى أَنَّهم زالوا ولمْ يَزُلِ الهَضْبُ

لَهُمْ نَسَبٌ كالفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ   خفيٌّ ولا وادٍ عنودٌ ولا شعبُ

فما دبَّ إلاَّ في بيوتهمُ النَّدى   ولمْ تربُ إلاَّ في جُحُورهمُ الحَربُ

أشمُّ شريكيٌّ يسيرُ أمامهُ   مَسِيرَةَ شَهْرٍ في كَتائِبه الرُّعْبُ

ولمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَايَاتِك التي   إِذَا ما اتلأَبَّتْ لا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ[13]

تولَّى ولم يألُ الرَّدى في اتِّباعه   كأنَّ الرَّدى في قصده هائمٌ صبُّ

كأنَّ بلادَ الرُّومِ عُمَّتْ بصيحةٍ   فَضَمَّتْ حَشَاها أَو رَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ

ومرَّ ونارُ الكربِ تلفحُ قلبهُ   وما الرَّوحُ إلاَّ أَنْ يُخَامِرَهُ الكَرْبُ

مَضَى مُدْبِراً شَطْرَ الدَّبُور، ونَفْسُهُ   على نفسِهِ من سُوءِ ظَنٍّ بها إلبُ[14]

جفا الشَّرق حتَّى ظنَّ من كان جاهلا   بدينِ النَّصَارَى أَنَّ قِبْلَتَهُ الغَرْبُ

شمس يوشع

أمَا إنَّهُ لولا الخليطُ المودّعُ   وربعٌ عَفَا منهُ مَصيفٌ ومَربعُ

لَرُدَّتْ على أعقَابِها أَرْيحيَّة   منَ الشوقِ واديها منَ الهمِّ مُتْرعُ

لحقنا بأُخراهم وقدْ حوَّمَ الهوى   قُلُوباً عَهِدْنا طَيرَها وَهْيَ وُقَّعُ

فرُدَّتْ علينا الشمسُ والليلُ راغمٌ   بشمسٍ لهم منْ جانب الخدرِ تطلعُ

نضَا ضَوْؤهَا صِبْغَ الدُّجنَّةِ فانطَوَى   لبهجتِها ثَوبُ السماءِ المُجزَّعُ

فوالله ما أدري أأحْلامُ نائمٍ   أَلَمَّتْ بنا أَمْ كانَ في الرَّكْبِ يُوشَعُ

وعَهْدِي بها تُحْيِي الهَوَى وَتُميتُهُ   وتشعبُ أعشارَ الفؤادِ وتصدعُ

وأقرَعُ بالْعُتْبَى حُميًّا عِتَابها   وقدْ تستقيدُ الراحَ حينَ تُشعْشعُ

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الظِّبَاءِ كأنَّما   رأتْ بيَ سِيْدَ الرملِ[15] والصبحُ أدْرعُ

لئن جزعَ الوحشيُّ منها لرؤيتي   لإنْسِيُّها من شَيْبِ رَأْسِيَ أجْزَعُ

غدا الهمُّ مختطاً بِفوديَّ خِطَّة   طريقُ الردى منها إلى النفسِ مَهيعُ

هو الزورُ يجفى، والمعاشرُ يجتوى   وذُو الإلْفِ يُقْلى، والجَديدُ يُرَقَّعُ

لَهُ مَنْظرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصعٌ   ولكنهُ في القلبِ أسْودُ أسْفَعُ

لقد آسفَ الأعداءَ مجدُ ابنِ يُوسُفٍ   وذو النقصِ في الدنيا بذي الفضلِ مُولعُ

أخذْت بحبلٍ مِنْه لَمَّا لَوَيْتُه   على مررِ الأيامِ ظلتْ تقطعُ

هو السيلُ إنْ واجهتَهُ انقدتَ طَوعَهُ   وتقتادُهُ منْ جانبيهِ فيتبعُ

يَقُولُ فَيُسمِعُ ويمْشِي فيُسْرِعُ[16]   ويَضربُ في ذَاتِ الإلهِ فَيُوجِعُ

إذا كَانَتِ النُّعْمَى سَلُوباً مِن امْرئٍ   غدتْ منْ خليجيْ كفِّه، وهيَ متبعُ

وإنْ عثرتْ سودُ الليالي وبيضُها   بوحْدَتِهِ أَلفيْتَها وَهْيَ مَجْمَعُ

---

[11] الآرام: المرتفعات، والنجعة المكان ذو العشب ومنه: المنتجع

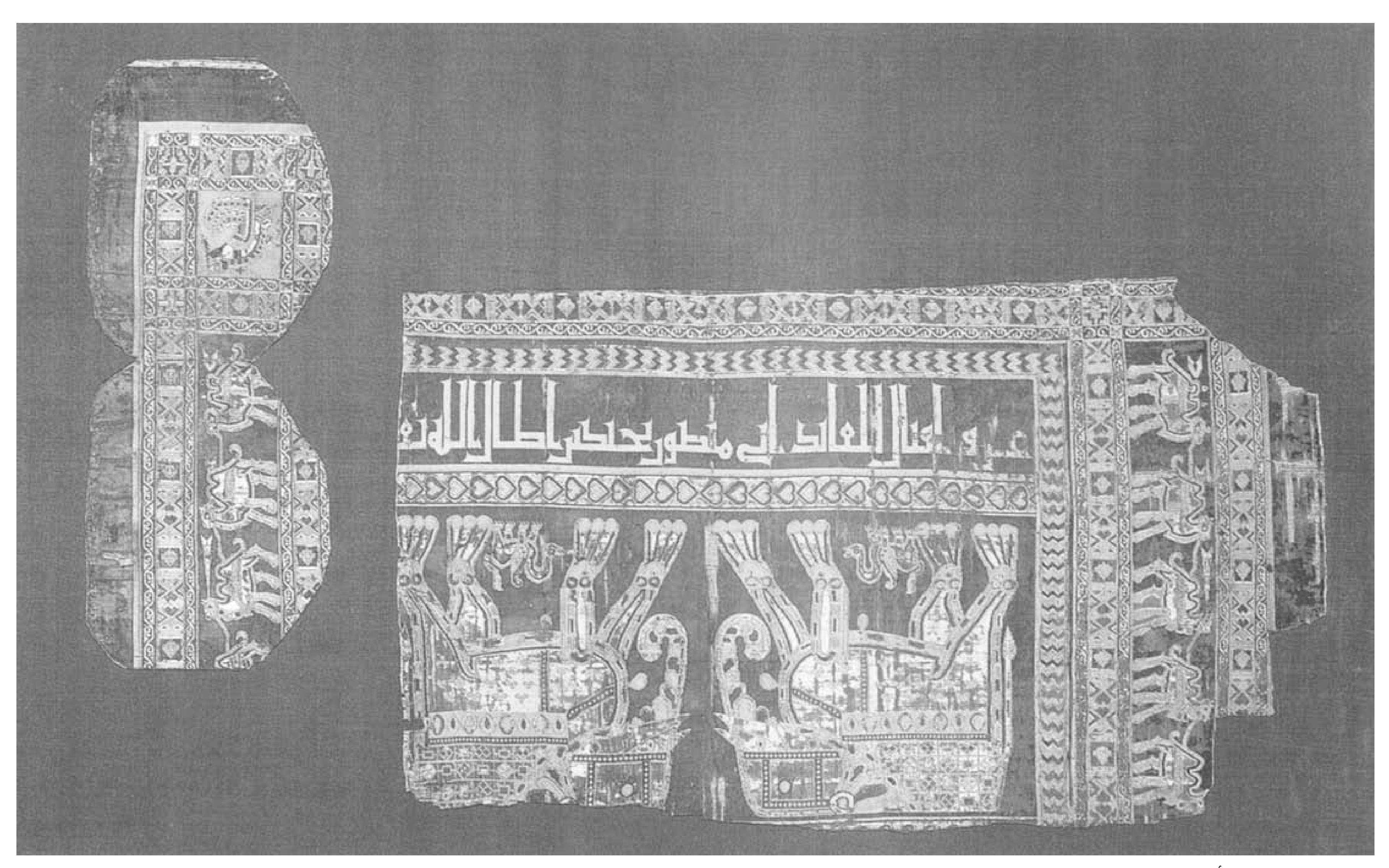
[12] الدمى: الأصنام، والسرب: قطيع الماشية

[13] توفيل: ملك الروم أيام المعتصم، واتلأبت : استقامت واستوت

[14] الألب: من التأليب.

[15] يرى الآمدي إن أبان تمام يريد بسيد الرمل: الذئب، إذ تنفر منه النساء لشيبه كما تنفر الظباء من الذئب!

[16] يكثر في شعر أبي تمام مثل هذه التصرفات في أوزان الشعر، بالبحر الطويل خاصة، أو ما يسميه الآمدي باضطراب الوزن، ومن الواضح هنا، كما في أبيات أخرى ، إن تصرف أبي تمام، مقصود ولا يتعارض مع موسيقى الشعر.



نسيج سان جوس – إيران أو آسيا الوسطى، القرن العاشر 961م – متحف اللوفر، باريس.

فليتقِ الله سائلُهْ

أجلْ أيُّها الربعُ الذي خَفَّ أهلُهْ   لَقَدْ أَدرَكَتْ فيكَ النَّوَى ما تُحاولُه

وقَفْتُ وأحشَائي مَنَازلُ للأَسَى   بهِ، وَهْوَ قَفْرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنازِلُهْ

أُسَائلُكُمْ ما بَالُهُ حَكَمَ البِلَى   عليهِ، وإلا فاتركُوني أسائِلُهْ

بيَوْمٍ تُريكَ المَوتَ في صُورَةِ النَّوَى   أَوَاخِرُهُ مِنْ حَسْرَةٍ وأَوائِلُهْ

تَيقَّنْتُ أن البينَ أولُ فاتكٍ   بهِ مُذْ رأيتُ الهجرَ، وهوَ يغازِلُهْ

يُعَنفُني أنْ ضِقْتُ ذَرْعاً بنَأْيهِ   ويَجْزَعُ أَن ضاقَتْ عليهِ خَلاخلُهْ

أَتَتْكَ أَميرَ المؤْمنينَ وقَدْ أتى   عليها المَلاْ أدْماثُهُ وجَرَاوِلُهْ

وصلنَ السُرى بالوخْدِ في كُلِّ صَحْصَحٍ[17]   وبالسُّهْدِ المَوْصُولِ والنَّوْمُ خَاذِلُهْ

رواحِلُنا قدْ بزَّنا الهمُّ أمْرَها   إلى أن حسِبْنا أنَّهُنَّ رَوَاحِلُهْ

إذا خَلَعَ الليلُ النهارَ رأيْتَها   بإرقالِها مِنْ كُلِ وَجْهٍ تُقابِلُهْ

أتتهُ مُغذًّا قدْ أتاها كأنَّها،   ولا شكَّ، كانتْ قبلَ ذاكَ تُراسِلُهْ

هُوَ اليَمُّ مِنْ أَيِ النَّواحي أتيتَهُ   فلُجَّتُه المعروفُ والجُودُ سَاحِلُهْ

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لو أنَّه   ثناها لقبضٍ لمْ تُجبهُ أنامِلُهْ

ولو لم يكنْ في كفِهِ غيرُ روحِهِ   لجادَ بها، فليتقِ اللهَ سائلُهْ

خضاب اللهِ وخِضابِي

لَوْ أنَّ دهراً ردَّ رجعَ جواب   أَوْ كفَّ منْ شأويهِ طولُ عتابِ

لعذلتهُ في دمنتين بِرامةٍ   مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَاب

ثِنْتَانِ كالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا   مَمْحُوَّتَيْنِ لِزَيْنَبٍ ورَبَاب

طمِنْ كُلِ ريمٍ لَمْ تَرُمْ سُوءاً ولَمْ   تَخْلِطْ صِبَى أَيَّامِها بتَصَابي

أذكتْ عليهِ شهابِ نارٍ في الحشا   بالعذلِ وهناً أختُ آلِ شِهابِ

عذلاً شبيهاً بالجنونِ كأنَّما   قَرَأَتْ بهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ كِتَاب[18]

أو ما رأتْ بُرديَّ من نسجِ الصِّبى   قَرَأَتْ بهِ الوَرْهَاءُ شَطْرَ كِتَاب[18]

ما الحب إلا..

البينُ جرَّعَني نَقيعَ الحَنظلِ   والبينُ أثكلني وإنْ لمْ أثكلِ

ما حَسْرتي أنْ كدتُ أقضي إنَّما   حَسرَاتُ نَفْسي أنَّني لم أفْعلِ

نقلْ فؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى   ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأوَّلِ

كمْ منزلٍ في الأرضِ يألفُه الفتى   وحنينُه أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ.

[17] الدماث: السهول، والجراول: الأرض الصلبة ذات الحجارة الخشنة، والوخد نوع من سير الإبل، والصحصح الأرض الواسعة المستوية.

[18] الورهاء: الحمقاء الخرقاء

ليل تقتتل فيه القوافي

مـا أقـبـلتْ أوْجُـهُ الـلـذّاتِ سـافـرةً   مـذْ أدبـرَتْ بـالـلـوى أيـامُـنـا الأُولُ
إن شـئتَ ألا تَـرى صَـبْـراً لِـمُـصْـطَبر   فـانـظُـرْ عـلـى أَيِّ حالٍ أصبَحَ الطَّلَلُ
كــأَنَّــمــا جَـادَ مَـغْـنـاهُ، فَـغَـيَّـرَه   دُمُـوعُـنـا، يـومَ بـانُـوا، وَهْـي تَـنْـهَـمِلُ
وَلَـوْتَـرَاهُـمْ وإيَّـانـا ومَـوْقِـفَـنـا   في مـأتَمِ الـبينِ لاسـتـهـلالـنـا زجـلُ
مـن حـرقـة أطـلـقـتْـهـا فرقـةٌ أسـرتْ   قـلـبـاً ومـنْ غـزلٍ في نـحـرِهِ عـذلُ
وقَـدْ طَوَى الشَّوْقَ في أَحشائنا بَقَرٌ   عينٌ طـوتـهـنَّ في أحشـائِـهـا الـكـللُ
فرَغْنَ لِلسحْرِ حَتَّى ظَلَّ كُلُّ شَجٍ   حَـرَّان في بَـعْـضِـهِ عَـنْ بـعـضِـهِ شُـغُـلُ
يـخـزي ركـامَ الـنـقـا مـا في مـآزرِها   ويَفْضَحُ الكُحْلَ في أَجْفانِها الكَحَلُ
تَـكَـادُ تَـنـتَـقِـلُ الأَرواحُ لـوْ تُـركَـتْ   مِـن الجُـسـوم إِلـيـهـا حيثُ تـنْـتـقـلُ
طُلَّت دِماءٌ هُريقَت عِندَهُنَّ كَما   طُـلَّـت دِمـاءُ هَـدايـا مَـكَّـةَ الـهَـمَـلُ
هانتْ على كلٍّ شيءٍ فهو يَسْفكُها   حـتَّـى المَنـازلُ والأحـداجُ والإبـلُ[19]
بالقـائِمِ الـثَّامِنِ المُسْتَخْلَف اطَّأَدَتْ   قـواعـدُ الملك ممتـداً لـهـا الـطـولُ
لـو كـانَ في عـاجـلٍ مـن آجـل بـدلٌ   لَـكـانَ في وَعْـدِهِ مـنْ رِفْـدِهِ بَـدَلُ
تـغـايـرَ الشعـرُ فـيـه إذْ سَـهـرتُ لـهُ   حـتـى ظَـنَـنْـتُ قَـوافـيـهِ سَـتَـقْـتَـتِـلُ
لـولا قـبـولِيَ نصحَ الـعَـزْمِ مُـرْتَـحِلاً   لَـراكَـضـاني إلـيـهِ الـرَّحْـلُ والجَـمـلُ
لَـهُ رِيَـاضُ نَـدىً لم يُـكْـبِ زَهْـرَتَـهَـا   خَـلـفٌ ولـمْ تـتـبـخـترْ بـيـنـهـا الـعِـلَـلُ
مَدى الـعُـفـاةِ[20] فَـلَـم تَـحلُل بِهِ قَدَمٌ   إلاّ تَـرحَّـلَ عَـنـهـا الـعَـثـرُ والـزَلَـلُ
مـا إن يُـبـالي إذا حَـلّـى خَـلائِـقَـهُ   بِـجـودِهِ أَيَّ قُـطـرَيـهِ حَـوى الـعَـطَـلُ
أبـو الـنـجـومِ الـتي مـا ضـنَّ ثـاقـبُـهـا   أَن لم يَـكُـنْ بُـرجِـهُ ثَـوْرٌ ولا حَـمَـلُ
مِـنْ كُـلِّ مُـشـتـهـرٍ فـي كـلِّ مُـعـتـركٍ   لمْ يَـعـرفِ المُشْـتري فِـيْـهِ ولاْ زُحَـلُ
يَـحْـمِـيـهِ لألاؤُه أَو لَـوْذَعِـيَّـتُـهُ   مـن أنْ يُـذالَ بمنْ أو مِـمَّـن الـرَّجـلُ
جـلـيتَ والموتُ مـبـدٍ حـرَّ صـفـحـتـه   وقـدْ تَـفـرْعَـنَ في أوصـالِـهِ الأجـلُ
قَدْ جاءَ مِنْ وَصفِكَ التَّفْسِيرُ مُعْتَذِراً   وقـدْ تَـفـرْعَـنَ في أوصـالِـهِ الأجـلُ

منبع النار!

قَـدْكَ اتـئِـبْ، أَرْبَـيْـتَ في الـغُـلْـواءِ   كَـمْ تَـعْـذِلُـونَ وَأَنْـتُـمُ سُـجَـرَائِـي[21]
لا تـسـقـنـي مـاءَ المـلامِ فـإنَّـنـي   صـبٌّ قـدِ اسـتـعـذبـتُ مـاءَ بُـكـائـي
ومُـعـرَّسٍ لـلـغـيـثِ تَـخـفـقُ بـيـنَـهُ   رَايَـاتُ كـلِ دُجُـنَّـةٍ وَطْـفَـاءِ[22]
نَـشَـرَتْ حَـدَائِـقَـهُ فَـصِـرْنَ مَـآلِـفاً   لِـطَـرَائِـفِ الأَنْـوَاءِ والأَنْـدَاءِ
فَـسَـقَـاهُ مِـسْـكَ الطَّلِّ كَافُورُ الصَّبا   وانْـحَـلَّ فـيـهِ خَـيْـطُ كُـلِ سَـمـاءِ
غُـنـي الـرَّبـيـعُ بـروضِـهِ، فـكـأنَّـمـا   أَهْـدَى إِلَـيْـهِ الـوَشْـيَ مِـنْ صَـنْـعَـاءِ
صـبَّـحـتُـه بسُـلافَـةٍ صَـبَّـحـتُـهَـا   بِـسُـلافَـةِ الْـخُـلَـطَـاءِ والـنُّـدَمَـاءِ
راحٌ إذا مـا الـرَّاحُ كُـنَّ مَـطِـيَّـهـا   كَـانَـتْ مَـطَـايـا الشَّـوْقِ في الأَحْـشَـاءِ
عِـنَـبِـيَّـةٌ ذَهَـبِـيَّـةٌ سـكَـبـتْ لَـهَـا   ذَهَـبَ المعـاني صـاغـةُ الشُّـعـراءِ
أكـلَ الـزَّمـانُ لـطـولِ مـكـثِ بـقـائِهـا   مَـا كَـانَ خَـامَـرَهَـا مِـنَ الأَقْـذَاءِ[23]
صَـعُـبَـتْ وراضَ المـزجُ سـيِّـءَ خُـلـقِـهـا   فـتـعَـلَّـمـتْ مـن حـسـنِ خـلـقِ المـاءِ
خـرقـاءُ يـلـعـبُ بـالـعـقـولِ حـبـابُـهـا   كـتـلـعُّـبِ الأفـعـالِ بـالأَسْـمـاءِ
وضـعـيـفـةٌ فـإذا أصـابـتْ فـرصـةً   قَـتَـلَـتْ، كـذلـكَ قُـدْرَةُ الضُّـعَـفَـاءِ
جَـهْـمِـيَّـةٌ[24] الأَوْصَـافِ إِلاَّ أَنَّـهُـمْ   قـد لـقَّـبـوهـا جَـوهـرَ الأشـيـاءِ
وكـأنَّ بـهـجـتَـهـا وبـهـجـةَ كـأسِـهـا   نَـارٌ ونُـورٌ قُـيِّـدَا بِـوِعَـاءِ
أَوْ دُرَّةٌ بَـيْـضَـاءُ بِـكْـرٌ أُطْـبِـقَـتْ   حَـبـلاً عَـلـى يـاقـوتـةٍ حَـمْـرَاءِ
ومَـسَـافَـةٍ كَـمَـسَـافَـةِ الـهَـجْـرِ ارْتَـقَـى   في صَـدْرِ بـاقـي الحـبِّ والـبُـرحـاءِ
بِـيـدٌ لـنـسْـلِ الـعِـيْـدِ في أُمـلـودِهـا   مـا ارتـيـدَ مـن عـيـدٍ ومِـنْ عَـدواءِ[25]
مـزَّقـتُ ثَـوْبَ عـكـوبِـهـا بـركـوبِـهـا   والـنَّـارُ تَـنْـبُـعُ مِـنْ حَـصَـى المَـعْـزَاءِ[26]

قدح – العراق، القرن التاسع – المتحف الإسلامي، برلين.



قدح – إيران، القرن العاشر – المتحف الإسلامي، برلين.

[19] الأحداج: هوادج النساء في الركب.

[20] العفاة: الضيوف، أو طلاب الفضل والرزق.

[21] قدك اتئب: أي حسبك فقد غاليت، والسجراء الأصفياء والأخلاء.

[22] الدجنة: ظلال الغيمة قبل المطر، والوطفاء: الغيمة المسترخية الطويلة



[23] الأقذاء ما يقع في العين والماء والشراب من شوائب.

[24] الجهمية: إحدى الفرق الكلامية الإسلامية تنسب إلى جهم بن صفوان السمرقندي، تقول بالجبرية ونفي الصفات عن الخالق، وبأن الإيمان عَقْد في القلب وكانت أفكارهم ممهدة للفكر المعتزلي.

[25] الأملود: الناعم. والعدواء المكان غير المستوي .

[26] عكوبها، غبارها

السماء المحجبة

يـا أيُّـهـا المَلِـكُ الـنّـائِي بِـرُؤْيـتِـه   وجـودُه لِـمُـرجِّـي جـوده كـثـبُ
ليسَ الحِجابُ بِمُقْصٍ عنكَ لي أملاً   إن السـمـاءَ تُـرَجَّـى حينَ تحتَجبُ
مـا دُونَ بـابِـكَ لي بـابٌ أَلُـوذُ بـهِ   ولا وراءَكَ لي مـثـوىً ومـطَّـلبُ

فكأنَّها وكأَنَّهُمْ أحلامُ

دمـنٌ ألمَّ بـهـا فَـقَـالَ سَـلامُ   كَمْ حَلَّ عـقْـدَةَ صَبْـرِهِ الإلْـمَـامُ
نُحِرَتْ رِكَابُ القَوْمِ حتَّى يَغْبُرُوا   رَجْلَى، لـقَـدْ عَنُفُوا عليَّ ولامُوا
عَشِقُوا، ولا رُزِقُوا، أيُعذَلُ عاشِقٌ   رُزقتْ هـواهُ مـعـالمٌ وخـيـامُ؟
وقـفـوا عـليَّ الـلومَ حتى خيَّلُوا   أنَّ الـوُقُـوفَ عـلـى الـديَـارِ حَرَامُ!
مـا مَـرَّ يَـوْمٌ واحِـدٌ إلاَّ وفي   أحشَـائِـهِ لِـمَـحـلَّـتـيْـك غَـمَـامُ
حـتـى تـعـمَّمَ صُـلْعُ هاماتِ الرُّبا   مِـنْ نَـوْرِهِ وتَـأَزَّرَ الأهْـضَـامُ[27]
ولـقـدْ أراكِ، فَـهَـلْ أراكِ بِـغـبـطـة   والـعَـيْـشُ غَـضٌّ والـزَّمـانُ غُـلامُ؟
أعـوَامَ وَصْـل كـانَ يُـنْـسِـي طُولَـهـا   ذكْـرُ الـنَّـوَى، فـكـأنَّـهَـا أيَّـامُ
ثُـمَّ انْـبَـرَتْ أَيَّـامُ هَـجْـرٍ أَردَفَـتْ   بـجَـوىً أسـىً، فـكـأنَّـهـا أعْـوَامُ
ثـمَّ انقضتْ تـلك السنونُ وأهـلُهـا   فـكـأنَّـهـا وكـأنَّـهُـمْ أحـلامُ
لا تَـنـشِـجَـنَّ لَـهـا فـإنَّ بـكَـاءَهـا   ضَـحِـكٌ، وإنَّ بُـكَـاءَكَ اسـتِـغْـرَامُ
هُـنَّ الحَمـامُ فـإن كسـرتَ عـيـافـة   مِـنْ حـائـهـنَّ فـإنَّـهـنَّ حِـمَـامُ

صور البعاد

سَقى عَهدَ الحِمى سَبَلُ العِهادِ[28]   وَرَوَّضَ حـاضِـرٌ مِـنـهُ وَبـادِ
نَـزَحتُ بِـهِ رَكِـيَّ الـعَـينِ لَـمّـا   رَأَيتُ الـدَمـعَ مِـن خَـيرِ الـعَـتـادِ
فَـيـا حُـسـنَ الـرُسـومِ وَمـا تَـمَـشّـى   إِلَـيـهـا الـدَهـرُ في صُـوَرِ الـبُـعـادِ
وإذْ طَـيْـرُ الحَوادثِ في رُبـاهـا   سَـواكِـنُ، وَهْـيَ غَـنَّـاءُ المَرَادِ
وأعينُ ربـربٍ كُـحِـلـتْ بسـحـرٍ   وأَجـسـادٌ تُـضَـمَّـخُ بـالجَسادِ[29]
وإنْ يكُ مِـنْ بَـنـي أُدَدٍ جـنـاحـي   فـإِنَّ أثـيـثَ رِيشـي مِـن إيَـادِ
غَـدَوْتُ بِـهـمْ أَمَـدَّ ذَوِيَّ ظـلاًّ   وأكثرَ مِـنْ ورائـي مـاءَ وادِ
مَـتَـى تَـحْـلُـلْ بِـهِ تَـحْـلُـلْ جـنَـابـاً   رَضِـيـعـاً لِـلـسَّـوَاري والـغَـوادي
وَمـا اشـتَـبَـهَـت طَـريـقُ المَجـدِ إلا   هَـداكَ لِـقـبـلَـةِ المَعـروفِ هـادِ
فـمـا سَـافَـرْتُ في الآفَـاقِ إلاّ   وَمِـنْ جَـدْوَاكَ رَاحِـلـتَـي وَزادي
مُـقـيـمُ الـظَّـنِّ عِـنـدَكَ والأمـانِـي   وَإنْ قَـلِـقـتْ رِكَـابـي في الـبِـلادِ
مَـعـادُ الـبَـعـثِ مَـعـروفٌ وَلَـكِـن   نَـدى كَـفَّـيـكَ في الـدُنـيـا مَـعـادي

ما لا يحتجب

أَطَاعَها الحُسْنُ وانحَطَّ الشَّبَابُ على   فؤادها وجرتْ في روحها النِّسَبُ
لَمْ أنْسَها وصروفُ البينِ تظلمُها   ولا مُـعَـوَّلَ إلاَّ الـوَاكِـفُ الـسَّـرِبُ
أَدنَتْ نِقاباً على الخدَّيْنِ وانتَسَبَتْ   لِـلْـنَّـاظِـريـنَ بِـقَـدٍّ لَـيْـسَ يَـنْـتـقِـبُ
ولـو تَـبَـسَّـمُ عُـجْـنـا الـطَرْفَ في بـردٍ   وفي أَقَـاحٍ سَـقَـتْـهـا الخَمْـرُ والـضَّـرَبُ
كـانتْ لـنـا مَـلـعـبـاً نـلـهـو بِـزُخرفِـه   وَقَـدْ يُـنـفِّـسُ عـن جـدِّ الفتى اللعبُ
وعـاذلٍ هـاجَ لي بـالـلـومِ مـأربـةً   باتتْ عليها همومُ النّفسِ تصطخِبُ
لمّا أطـالَ ارتجالَ الـعـذلِ قـلـتُ لـهُ:   الحَزْمُ يُثْني خُطُوبَ الدَّهرِ لا الخُطَبُ

متحاربون – مصر الفسطاط، القرن الحادي عشر – المتحف الإسلامي، القاهرة.

[27] الأهضام: الأراضي المنخفضة.

[28] سَبَل العهاد: مطر الربيع في أوله

[29] الربرب: قطيع البقر الوحشي، والجساد: الزعفران.



عملة عباسية بخط كوفي – المتحف الوطني، ستوكهولم.

من يخبرني عني؟

أفيكمْ فتى حيٌّ فيُخْبِرُني عنِّي   بِما شَرِبَتْ مِشْروبَةُ الرَّاحِ مِنْ ذِهْني
غَدَتْ وهيَ أولى مَنْ فؤادي بعزمتي   ورُحتُ بِما في الدنِّ أولى من الدنِّ
لقدْ تَرَكتْنِي كأسُها وحَقِيقتِي   محالٌ وحقٌّ من فعالِيَ كالظنِّ
هي اخْتَدعتْنِي والغمامُ ولمْ أكُنْ   بأَوَّلَ مَنْ أَهدَى التَّغَافُلَ لِلدَّجْنِ
إذا اشتَعَلَتْ في الطّاسِ والكاسِ نارُها   صليْتُ بِهَا منْ راحتَي ناعمٍ لَدْنِ
قرينُ الصبا في وجنتيهِ ملاحة   صليْتُ بِهَا منْ راحَتَي ناعمٍ لَدْنِ
طإذا نَحْنُ أومَأنا إليهِ أدارَها   سُلافاً كماءِ الجَفْنِ[30] وَهْيَ مِنَ الجفنِ
تُقلِّبُ روحَ المرءِ في كلِّ وجهة   وتَدْخُلُ مِنْهُ حيثُ شاءَتْ بلا إِذنِ
ومُسْمِعُنا طفلُ الأناملِ عندَه   لنا كلُّ نوعٍ من قِرى العَينِ والأذنِ
لنا وَتَرٌ منهُ إذا ما استَحثَّه   فَصيحٌ ولَحْنٌ في أَمانٍ مِنَ اللَّحنِ
وفي روضة نبتيَّةٍ صَبَغَتْ لها   جَدَاولَها أَنْوارُها صِبْغَةَ الدُّهْنِ
ظَلِلْنَا بها في جَنَّةٍ غَابَ نَحْسُها   تُذكِّرُنا جنَّاتُها جَنَّةَ العدْنِ

ما يكتبه الليل بغير لونه

أرى أَلِفاتٍ قدْ كُتبْن على راسي   بأقلامِ شَيبٍ في صَحائف أنْقاسي[31]
فإن تسألِيني من يَخُطُّ كتابَها   فكَفُّ الليالي تستمدُّ بأنْفاسي

أمطار القلم

لك القَلمُ الأعْلَى الذي بِشَبَاتِه[32]   تُصَابُ مِنَ الأمْرِ الكُلَى والمَفَاصِلُ
لَهُ الخَلَواتُ اللاّءِ لولا نجيُّها   لما احتفَلَتْ للمُلْك تلك المحافِلُ
لُعابُ الأَفاعي القَاتِلات لُعابُهُ   وأرْيُ الْجَنَى اشتَارَتْهُ أَيْدٍ عواسِلُ[33]
لهُ ريقَة طَلٌّ ولكنَّ وقْعَها   بآثارِه في الشَّرْقِ والغَرْبِ وَابِلُ
فصِيحٌ إذَا استَنطَقْتَهُ وَهْوَ رَاكِبٌ   وأعْجَمُ إنْ خَاطَبْتَهُ وهْوَ راجلُ
إذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ   عليهِ شِعابُ الفِكْرِ وهْيَ حوافِلُ
أَطاعَتْهُ أطرافُ القَنَا وتَقَوَّضَتْ   لنجواه تقويضَ الخيامِ الجحافِلُ
إذَا استَغْزَرَ الذّهْنَ الذَّكِيَّ وأقبلتْ   أعاليهِ في القِرطَاسِ وهْيَ أسافِلُ
وقدْ رَفَدَتْه الْخَنْصران وشددَّتْ   ثَلاثَ نَواحيهِ الثَّلاثِ الأَنامِلُ
رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرهف   ضنى وسميناً خطبهُ وهو ناحلُ

قبراثا..!

سَيَّافَة اللَّحَظَاتِ يَغْدُو طَرْفُها   بالسحْرِ في عقَدِ النُّهَى نَفَّاثَا
زالتْ بعينيك الْحُمولُ كأنَّها   نَخْلٌ مواقرُ منْ نَخيلِ جُواثا[34]
يَوْمَ الثُّلاثَا لَنْ أَزَالَ لِبَيْنِهمْ   كَدِرَ الفُؤَادِ لكُلِ يَومِ ثُلاثَا
والكَامِخِيَّة لمْ تَكُنْ لي مَنْزِلاً   فمقَابِرُ اللَّذَّاتِ مِنْ قَبْرَاثَا[35]
لمْ آتِهَا من أيِّ وجْهٍ جِئتُها   إلاَّ حسبْتُ بيُوتَهَا أَجْدَاثَا[36]
تَصدا بِها الأَفهامُ بَعدَ صِقالِها   وَتَرُدُّ ذُكرانَ العُقول إِناثا
أرْضٌ خَلعْتُ اللهوَ خَلعِي خَاتَمي   فِيْهَا وطلَّقْتُ السُّرورَ ثَلاثا

---

30 الجَفْن: الكَرم " العنب" والعرب تسمي الخمر: ماء الجَفن، والسحاب جَفْن الماء.

31 أنقاس: جمع نقس وهو المداد الذي يكتب به.

32 شباته : طرفه أو حده

33 الأري: العسل، واشتارته أي جنته

34 مواقر: ذات حمل كثير، وجواثا: قرية في البحرين تشتهر بالنخيل

35 الكامخية موضع بالشام وقبراثا: قرى من نواحي الموصل

36 الأجداث: القبور

جيران طسم

أقَشِيبَ رَبْعِهِم أَرَاكَ دَرِيسَا   وَقُرَى ضُيوفِكَ لوعةً ورسيسا[37]
ولئِنْ حُبِسْتَ على البلى لَقَدْ اغتَدَى   دمعي عليكَ إلى المماتِ حبيسا
فكأنَّ طَسماً قَبْلُ كانُوا جيرةَ   بكَ والعَماليقَ الأُلى وجَديسَا[38]
وأرى رُبوعَكَ مُوْحِشاتٍ بَعْدَهَا   قَدْ كنتَ مأْلوفَ المْحَلِّ أنِيسَا
أَتُرَى الفِراقَ يَظُنُّ أنِّيْ غَافِل   عَنْه وقد لَمستْ يَداهُ لَمِيْسَا
رَودٌ أصَابَتْهَا النَّوى فِيْ خُرَّدٍ   كانتْ بدورَ دُجُنَّةٍ وشُمُوسَا[39]
بيضٌ تَدُورُ عُيُونُهُنَّ إلى الصبَا   فكأنَّهُنَّ بِهَا يُدِرْنَ كُؤوسا

شاعر وقف الكلام ببابه.

همَمُ الفتى في الأرضِ أغصانُ الغنى   غُرِسَتْ وليسَتْ كلَّ عامٍ تُورقُ
أخَرِسْتَ إذْ عايَنْتَني حتَّى إذا   ما غِبتَ عنْ بَصَري ظَللتَ تشدَّقُ؟
وكذا اللئيمُ يقولُ إنْ نأتِ النوى   بِعَدوِّه ويَحُولُ ساعَةَ يُصْدَق
قَومٌ تَراهُمْ حينَ يَطْرُقُ مَعْشَرٌ   يَسْمونَ للخطبِ الجليلِ فيطرقُ
قومٌ إذا اسودَّ الزمانُ توضَّحوا   فيهِ فغُودِرَ وَهوَ مِنْهُمْ أَبلَقُ
ما أنشئتْ للمَكْرُماتِ سَحَابةٌ   فيهِ فغُودِرَ وَهوَ مِنْهُمْ أَبلَقُ
طأنظرْ فحيثُ ترى السيوفَ لوامعاً   أَبَداً فَفَوْقَ رُؤُوسِهِم تَتَأَلَّقُ
شُوسٌ إذا خَفقَتْ عقابُ لوائِهمْ   ظلَّتْ قلوبُ الموتِ منهمْ تَخْفِقُ
بُلْهٌ إذا لَبِسُوا الحَدِيدَ حَسِبتَهُم   لم يحسبوا أنَّ المنية تخلقُ[40]
أَفَعِشْتَ حتَّى عِبْتَهم قُلْ لي مَتى   فَرزنتَ سُرْعَة ما أرَى يا بَيدَقُ؟
جدعاً لأنفِ طيءٍ إنْ فُتَّها   وَلَو انَّ رُوحَك بالسماكَ مُعَلَّقُ
إني أراكَ حلمتَ أنَّكَ سالمٌ   مِنْ بَطْشِهِمْ ما كلُّ رُؤيا تَصْدُقُ
إِيَّاكَ يَعني القائلونَ بِقَوْلِهم   إنَّ الشقيَّ بكلِّ حبلٍ يخنقُ
سِر أَينَ شِئْتَ مِنَ البِلادِ فإنَّ لي   سُوراً عليكَ من الرِّجالِ يخندقُ
وقَصائداً تَسْري إليكَ كأنَّها   سُوراً عليكَ من الرِّجالِ يخندقُ
طمن منهضاتكَ مقعداتِكَ خائفاً   مستوهلاً حتى كأنَّكَ تطلقُ
مِنْ شاعِرٍ وقَفَ الكَلامُ بِبابِهِ   واكْتَنَّ في كَنَفي ذَرَاهُ المَنْطِقُ[41]
قدْ ثقفتْ منهُ الشاَمُ وسهَّلتْ   منه الحجازُ ورقَّقتْهُ المشرِقُ

كتاب «الصور» للصوفي، كوكبة برشاويش على ما يرى الكرة – متحف طوب كابو، استنبول.



[37] القشيب: الجديد، والدريس: الدارس والبالي ، والرسيس، الثابت من الأثر وبقيته.

[38] طسم وجديس: من قبائل العرب البائدة، تحف بتاريخهما الأساطير.

[39] الرود: هنا المرأة الجميلة التي تكثر الارتياد إلى البيوت المجاورة، والخرد، البكر التي تميل إلى السكوت والحياء.

[40] الشوس، جمع أشوس، وهو من ينظر بمؤخرة العين ويرفع رأسه غضباً، والبله، الغفلة عن الشر، وعدم الاهتمام له: جاء في الحديث "أكثر أهل الجنة البله" أي لعدم اهتمامهم بالدنيا.

[41] اكتن: اختزن، والكنف الرعاية، وكنف الطائر: جانحيه.

ماء الوجه.

أنسى ابتسامك والألوانُ كاسفة ... تَبَسُّمَ الصُّبْحِ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
كذا أخوكَ الندى لو أنَّهُ بشرٌ ... لَمْ يُلفَ طرفة عينٍ غير مبتسمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهي في صَحِيفَتِهِ ... ردَّ الصقالِ بماء الصارمِ الخذمِ
وما أبالي وخيرُ القولِ أصدَقُهُ ... حقنتَ لي ماءَ وجهي أو حقنتَ دمي

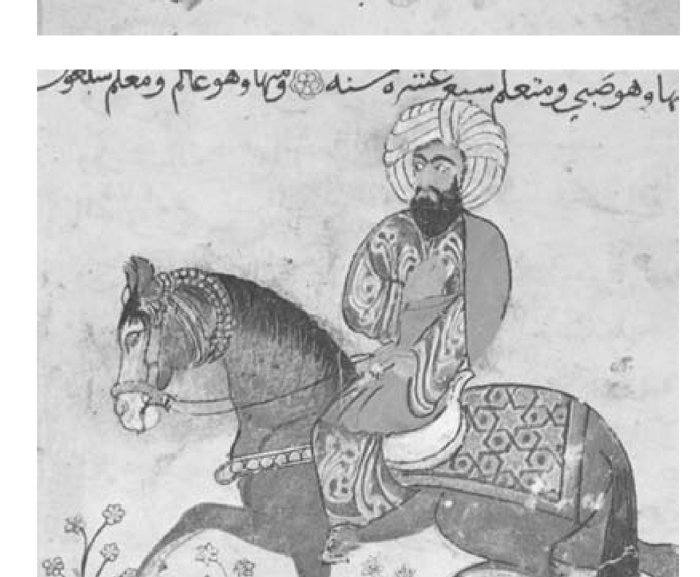


حاشية الطبيعة.

رقتْ حواشي الدهرُ فهْيَ تمرمر ... وغَدَا الثَّرَى في حَلْيِهِ يَتكسَّرُ
نَزلَتْ مُقَدمَة المَصِيفِ حَمِيدة ... ويدُ الشتاءِ جديدةٌ لا تكفرُ
لولا الذي غرسَ الشتاءُ بكفِّه ... لاَقَى المَصيفُ هَشَائماً لا تُثْمِرُ
مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ منه وبَعْدَه ... صَحْوٌ يَكادُ مِنَ الغَضَارة يُمْطِرُ
غَيْثَانِ فالأَنْوَاءُ غَيْثٌ ظاهِرٌ ... لكَ وجهُهُ والصحوُ غيثٌ مُضْمَرُ
وندى إذا ادَّهَنَتْ بهِ لِمَمُ الثرى ... خِلْتَ السحابَ أتاهُ وهو مُعَذِّرُ
أربيعُنا في تسعَ عشرةَ حُجَّةً ... حَقّاً لَهِنَّكَ[42] لَلرَّبيعُ الأَزْهَرُ
ما كانتِ الأيامُ تسلبُ بَهجة ... لو أنَّ حسنَ الروضِ كانَ يعمرُ
أولا ترى الأشياءَ إنْ هيَ غيرتْ ... سَمُجتْ وحُسْنُ الأرْضِ حِينَ تُغَيَّرُ
يا صاحِبَيَّ تَقصَّيا نَظرَيْكُمَا ... تَرَيَا وُجُوهَ الأرضِ كيفَ تَصَوَّرُ
تَرَيا نَهاراً مُشْمِساً قدْ شابهُ ... زهرُ الرُّبا فكأنَّما هُوَ مُقْمِرُ
دُنْيا معاشٌ للوَرى حتَّى إذا ... جلِيَ الرَّبيعُ فإنَّما هيَ مَنظَرُ
أضحتْ تَصُوغُ بُطُونُها لِظُهُورِها ... نَوْراً تكادُ له القُلوبُ تُنَوَّرُ
مِن كلِ زَاهِرَة تَرقْرَقُ بالنَّدَى ... فكأنَّها عَينٌ عَليهِ تَحَدَّرُ
تَبْدُو وَيحجُبُها الجَمِيمُ[43] كأنَّها ... عَذْرَاءُ تَبْدُو تارَةَ وتَخَفَّرُ
حتَّى غَدَتْ وَهَدَاتُها ونِجَادُها[44] ... فِئتينِ في خِلَعِ الرَّبيعِ تَبَخْتَرُ
مُصْفَرَّة مُحْمَرَّة فكأنَّها ... عُصَبٌ تَيَمَّنُ في الوَغَى وتَمَضَّرُ
مِنْ فاقعٍ غضِّ النباتِ كأنهُ ... دُرٌّ يُشَقَّقُ قَبْلُ ثُمَّ يُزَعْفَرُ
أو ساطعٍ في حمرة فكأنَّ ما ... يدنو إليهِ منَ الهواءِ مُعَصْفَرُ
صُنْعُ الذي لَولا بَدائعُ صُنْعِهِ ... ما عَادَ أصْفَرَ، بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ

محرقة الخرافة!

أَينَ الروايَةُ؟ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ؟
لو بيَّنتْ قطّ أمراً قَبل مَوقِعِه ... لم تُخْفِ ما حلَّ بالأوثانِ والصلُبِ
مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبل ذَلِكَ قَدْ ... شابتْ نواصي اللَّيالي وهيَ لمْ تشبِ
حَتَّى إذَا مَخَّضَ اللَّهُ السنين لَهَا ... مَخْضَ البَخِيلَة كانَتْ زُبْدَةَ الحقَبِ
أتتهُمُ الكُربة السَّوداءُ سادرة ... منها وكان اسمها فرَّاجة الكُربِ
جرى لها الفألُ بَرحاً يومَ أنقرةٍ ... إذْ غودرتْ وحشة الساحاتِ والرِّحبِ
لمَّا رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى من الجَرَبِ
ضوءٌ منَ النَّارِ والظَّلماءُ عاكفة ... وظُلمةٌ منَ دُخَانٍ في ضُحىً شَحِبِ
فالشَّمْسُ طَالِعَة مِنْ ذَا وقدْ أَفَلَتْ ... والشَّمسُ واجبة منْ ذا ولمْ تجبِ
تصرَّحَ الدَّهرُ تصريحَ الغمامِ لها ... عنْ يومِ هيجاءَ منها طاهرٍ جُنُبِ
لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ يومَ ذَاكَ على ... بانٍ بأهلٍ وَلَم تَغْرُبْ على عَزَبِ
يا رُبَّ حوباءَ[45] لمَّا اجتثَّ دابرهم ... طابَتْ ولَوْ ضُمِّخَتْ بالمِسْكِ لم تَطِبِ
ومُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ ... حيَّ الرِّضا منْ رداهمْ ميِّتَ الغضبِ
والحَرْبُ قائمَة في مأْزِقٍ لَجِجٍ ... تجثُو القيامُ بهِ صُغراً على الرُّكبِ
كمْ نيلَ تحتَ سناها من سنا قمرٍ ... وتَحْتَ عارِضِها مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ[46]
كمْ كان في قطعِ أسبابِ الرِّقابِ بها ... إلى المخدَّرة العذراءِ منَ سببِ
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِي مُصْلَتَة ... تهتزُّ منْ قُضُبٍ تهتزُّ في كُثُبِ
بيضٌ، إذا انتُضيتْ من حُجبها، رجعت ... أحقُّ بالبيضِ أتراباً منَ الحُجُبِ



«مختار الحكم ومحاسن الكلم» – متحف طوب كابو، استنبول.

[42] لهنك : كلمة للتوكيد بمعنى لإنَّك.

[43] الجميم: نبات المرعى قبل أن يصبح حشيشاً

[44] الوهد: ما انحدر من الأرض «الوديان» والنجاد ما ارتفع منها «الكثبان»

[45] الحوباء: النفس والروح

[46] الشنب: حدة الأسنان



بيطري يضع الدواء لفرس بدت عليه أعراض الحمى.



فرس معتلة يتولى حارسها علاجها.



فارس يروض جواده.



حارسان يتعاونان لمساعدة فرس على ولادة عسيرة.



كتاب «البيطرة» – 1209 م – دار الكتب المصرية.

بلاغة الطبيعة

الغَيمُ مِن بَينِ مَغبوقٍ وَمُصطَبَحِ   مِن ريق مُكتَفِلاتٍ بِالثَرى دُلُحِ[47]
دُهمٍ إِذا ضَحِكَتْ في رَوضَةٍ طَفِقَت   عُيونُ نُوّارِها تَبكي مِنَ الفَرَحِ

حفلة الأحلام

اِستَزارَتهُ فِكرَتي في المَنامِ   فَأَتاني في خُفيَةٍ وَاِكتِتامِ
اللَيالي أَحفى بِقَلبي إِذا ما   جَرَحَتهُ النَوى مِنَ الأَيّامِ
يا لَها لَذَّةً تَنَزَّهَتِ الأَر   واحُ فيها سِرّاً مِنَ الأَجسامِ
مَجلِسٌ لَم يَكُن لَنا فيهِ عَيبٌ   غَيرَ أَنّا في دَعوَةِ الأَحلامِ

رجل الأيام السود..

كُفّي وَغاكِ فَإِنَّني لَكِ قالي   لَيسَت هَوادي عَزمَتي بِتَوالي
أَنا مَنْ عَرفتِ فإنْ عَرتْك جَهَالةٌ   فَأنا المُقيمُ قِيامَةَ العذّالِ
عَادَتْ لهُ أيّامُهُ مسوَدَّةً   حتَّى تَوهَّمَ أنَّهنَّ ليالِ

ذو الشعر الخلاسي.

أَبدَت أَسىً أَنْ رَأَتني مُخلِسَ القُصَبِ   وَآلَ ما كانَ مِن عُجْبٍ إِلى عَجَبِ
سِتٌّ وَعِشرونَ تَدعوني فَأَتبَعُها   إِلى المَشيبِ وَلَم تَظلِم وَلَم تَحُبِ[48]
يَومي مِنَ الدَهرِ مِثلُ الدَهرِ تَجْرِبَةً   عَزماً وَحَزماً وَساعي مِنهُ كَالحِقَبِ
فَأَصغَري أَنَّ شَيباً لاحَ بي حَدَثاً   وَأَكبَري أَنَّني في المَهدِ لَم أَشِبِ
وَلا يُؤَرِّقْكِ إيماضُ القَتيرِ[49] بِهِ   فَإِنَّ ذاكَ اِبتِسامُ الرَأيِ وَالأَدَبِ
رَأَتْ تَشَنُّنَهُ فَاهتاجَ هائِجُها   وَقالَ لاعِجُها لِلعَبرَةِ انسَكِبي
لا تُنكِري مِنهُ تَخديداً تَجَلَّلَهُ   فَالسَيفُ لا يُزدَرى إِن كانَ ذا شُطَبِ
لا يَطرُدُ الهَمَّ إِلّا الهَمُّ مِن رَجُلٍ   مُقَلقِلٍ لِبَناتِ القَفرَةِ النُعُبِ[50]
ماضٍ إِذا الكُرَبُ التَفَّتْ رَأَيتَ لَهُ   بِوَخدِهِنَّ اِستِطالاتٍ عَلى النُوَبِ
بَلَوتُ مِنكَ وَأَيّامي مُذَمَّمَةٌ   مَوَدَّةً وُجِدَتْ أَحلى مِنَ النَشَبِ
مِن غَيرِ ما سَبَبٍ ماضٍ كَفى سَبَبا   لِلحُرِّ أَن يَعتَفي حُرّاً بِلا سَبَبِ

النوم مشرد، فاغترب تجدد

سرتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدِ   وعَادَ قَتاداً[51] عِندَها كُلُّ مَرْقدِ
وَأَنْقَذَها مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْت، أَنَّه   صُدودُ فِراقٍ لا صُدُودُ تَعمُّدِ
فأَجْرَى لَها الإشْفَاقُ دَمْعاً مُوَرَّداً   مِنَ الدَّمِ يَجْرِي فوقَ خدٍّ موردِ
هيَ البدرُ يُغْنيْها تَوَدُّدُ وجْهِهَا   إِلى كُلِّ مَنْ لاقَتْ وإنْ لَمْ تَوَدَّدِ
ولكنَّني لمْ أحْوِ وَفْراً مُجَمَّعاً   فَفُزْتُ بهِ إلاَّ بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولمْ تُعْطني الأيَّامُ نَوْماً مُسكَّنا   أَلَذُّ بهِ إلاَّ بنَوْمٍ مُشَرَّدِ
وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مخْلِقٌ   لديباجتيه فاغْتربْ تَتَجدَّدِ
فإنِّي رأيْتُ الشَّمسَ زيدتْ مَحَبَّةً   إلى النَّاس أَن ليْسَتْ عليهمْ بِسرمَدِ

الكوفة– دمشق...

نيطَت قَلائِدُ عَزمِهِ بِمُحَيِّرٍ   مُتَكَوِّفٍ مُتَدَمشِقٍ مُتَبَغدِدِ
حَتّى لَقَد ظَنَّ الغُواةُ وَباطِلٌ   أَن قَد تَجَسَّمَ فِيَّ روحُ السَيِّدِ[52]

فضل الحاسد على الْمَحْسود

وإِذَا أَرادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ   طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لَوْلاَ اشتعَالُ النَّارِ، فيما جَاوَرَت   ما كَانَ يُعْرَفُ طيبُ عَرْفِ العُودِ
لولاَ التخوفُ للعواقبِ لمْ تزلْ   للْحَاسد النُّعْمى على المَحْسُودِ

[47] مكتفلات: متغطيات، والدلح: التثاقل في المشي

[48] لم تحب: لم تأثم، والحوب الإثم.

[49] القتير: الشيب في أول ظهوره.

[50] بنات القفر: الوحوش وكل ما يسكن القفار، لكن لفظة النعب (تمد أعناقها أثناء السير) تحيل إلى الإبل خاصة، والمقصود إن هم الرجل، يزول بالهمة في إقلاق الإبل بالسير الدائم والترحال.

[51] القتاد: شجر صحراوي له شوك.

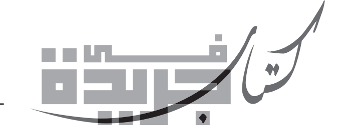
[52] المقصود بالسيد هنا: السيد الحميري الشاعر العباسي المعروف.

«مقامات الحريري» 1222م رقم 3929 ، صورة الفرسان في طريقهم إلى دار أفراح – دار الكتب القومية الفرنسية.

يحن إلى موته

الـيَـوْمَ أُدرِجَ زَيْـدُ الخَيْـلِ في كَـفَـنِ	وانحَلَّ مَعْقُودُ دَمْعِ الأعيُنِ الهُتُنِ[53]
فـالمَاءُ لـيْـسَ عـجِـيـبـاً أَنَّ أعـذبَـه	يَفْنَى ويَمتَدُّ عُمرُ الآجِنِ الأَسِنِ
رُزْءٌ عـلـى طَـيـىء ألـقَـى كَـلاكِـلَـه	لا بَلْ على أُدَدٍ لا بَلْ على اليَمَنِ
إلا تـكـنْ صـدرتْ عـن مـنـظرٍ حسنٍ	حَرْبٌ، فقد صَدَرتْ عَنْ مَسْمَعٍ حَسَنِ
نِعْمَ الفَتَى غَيْرُ نِكْسٍ في الجِلاد ولاً	لـدنِ الـفـؤادِ لـدى وقعِ الـقـنـا الـلدنِ
حَـنَّ إلى المَوْتِ حَـتَّـى ظَـنَّ جـاهِـلُـه	بـأنَّـه حـنَّ مشـتـاقـاً إلى وطـنِ
ولَّـى الحماة وأضحى عـنـدَ سورتِهِ	مـع الحمـيـةِ كـالمشـدودِ في قـرنِ
رأى المنـايـا حـبالاتِ الـنفوس فـلـمْ	يَسكُنْ سِوَى الميتَة العُلْيَا إلى سَكَنِ
لَوْ لم يَمُتْ بينَ أطرافِ الرماحِ إذاً	لَمَاتَ إذْ لَم يَمُتْ مِنْ شِدَّة الحزَنِ

[53] الهتن: متتابعات الدمع





«مقامات الحريري» 1222م رقم 3929 ، صورة السماط والناس من حوله في دار أفراح الشحاذين – دار الكتب القومية الفرنسية.

الحجرة المقفلة

مـالي أَرى الحُجْرةَ الـفَيْحاءَ مُقْفَلَةً   عنِّي وقد طالما استفتَحْتُ مُقْفَلَهَا؟
كـأَنَّهـا جـنَّـةُ الـفِردْوس مُعْرِضَـةً   ولـيسَ لي عَـمَـلٌ زَاكٍ فـأَدْخـلَـهـا

صواحب يوسف

أَهُـنَّ عَـوادي يـوسُـفٍ وَصَـواحِـبُـهْ … فَـعَـزمـاً فَـقِـدمـاً أَدرَكَ السُؤلَ طالِـبُـهْ
إِذا المَرءُ لَـم يَستَخلِص الحَزمُ نَفسَهُ … فَـذِروَتُـهُ لِـلـحـادِثـاتِ وَغـارِبُـهْ
أَعـاذِلَـتي ما أَخشَنَ اللَّـيلَ مَـركَبـاً … وَأَخشَـنُ مِـنـهُ في المُلِـمّـاتِ راكِـبُـهْ
ذَريـنـي وَأَهـوالَ الـزَمـانِ أُفـانِـهـا … فَـأَهـوالُـهُ الـعُـظمـى تَـليـهـا رَغـائِـبُـهْ
أَلَـم تَـعـلَـمي أَنَّ الزِماعَ عَلى السُرى … أَخو النُجحِ عِندَ النائِباتِ وَصاحِبُهْ
دَعـيـني عَلى أَخلاقِيَ الصُمِّ لِلَّتي … هِـيَ الـوَفـرُ أَو سِـربٌ تُـرِنُّ نَـوادِبُـهْ
فَـإِنَّ الحُـسـامَ الـهُـنـدُوانِـيَّ إِنَّـمـا … خُـشـونَـتُـهُ مـا لَـم تُـفَـلَّـلْ مَـضـارِبُـهْ
وقـلْـقَـل نَـأيٌ مـن خـراسـانَ جـأشَـهـا … فـقـلـتُ اطـمـئِـنّـي أنضرُ الرَّوض عازِبُـهْ
ورَكـبٍ كـأَطْـراف الأَسِـنَّـة عَـرَّسُـوا … عـلـى مِـثْـلِـهـا والـلَّـيْـلُ داجٍ غَـيـاهِـبُـهْ
لأمـرٍ عـلـيـهـمْ أَنْ تَـتِـمَّ صُـدُورُه … ولـيْـسَ عـلـيـهـمْ أن تَـتِـمَّ عـواقِـبُـهْ
عـلـى كـلِّ رَوَّادِ المِلاَطِ تَـهَـدَّمَـتْ … عـريـكـتُـه الـعـلـيـاءُ وانضـمَّ حـالُـبـهْ[54]
رعـتْـهُ الـفـيـافِـي بَـعْـدَ مَـا كـان حـقْـبَـةً … رعـاهَـا ومـاءُ الـروضِ يـنْـهَـلُّ سـاكِـبُـهْ
فَأَضحى الفَلا قَد جَدَّ في بَري نَحضِه[55] … وَكـانَ زَمـانـاً قَـبـلَ ذاكَ يُـلاعِـبُـهْ
فَـكَـم جِـذعِ وادٍ جَـبَّ ذِروَةَ غـارِبٍ … وَبـالأَمـسِ كـانَـتْ أَتمَكَـتـهُ٦٥ مَـذانِـبُـهْ
إِلَـيكَ جَـزَعـنـا مَـغـرِبَ الـشَـمـسِ كُـلَّـمـا … هَبَطنا مَلاً صَلَّت عَلَيكَ سَباسِبُهْ [57]
فَـلَـو أَنَّ سَـيـراً رُمـنَـهُ فَـاسـتَـطَـعـنَـهُ … لَـصـاحَـبـنَـنـا سَـوقـاً إِلَـيكَ مَـغـارِبُـهْ

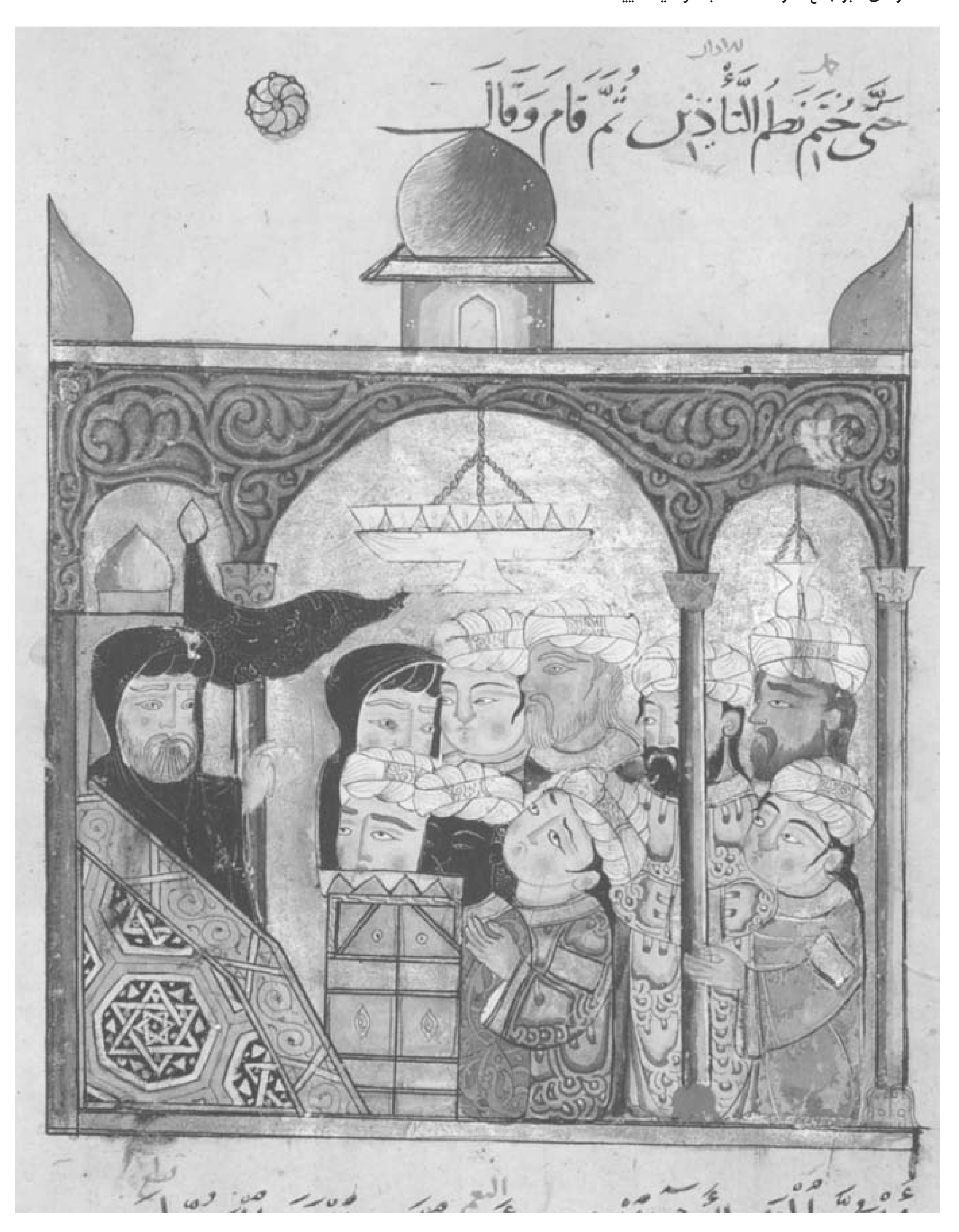
54 الملاط: الجمل، والعريكة السنام.. المقصود كثرة الأسفار.

55 النحض: اللحم المكتنز

56 أتمكته: رفعته وأعلته، وسنام تامك سنام عالٍ

57 الملا: الفلاة، والسباسب المفازات

حفر على منبر جامع سمرقند – المكتبة الوطنية ، فيينا.





حنين

شَهِدْتُ لقَدْ أَقَوَتْ مَغَانيكُمُ بَعْدِي   وَمَحَّتْ كما مَحَّتْ وشائعُ مِن بُرْدِ
وَأَنْجَدْتُمُ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكم   فيا دَمْعُ أَنْجِدْني عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

مسافر للنجوم!

أَلا أَيُّها المَوتُ فَجَّعتَنا   بِماءِ الحَياةِ وَماءِ الحَياءِ
فَماذا حَضَرتَ بِهِ حاضِراً   وَماذا خَبَأتَ لأَهلِ الخِباءِ
نَعاءِ نَعاءِ شَقيقَ النَدى   إِلَيهِ نَعِيّاً قَليلَ الجَداءِ[58]
وَكانا جَميعاً شَريكَي عِنانٍ   رَضيعَي لِبانٍ خَليلَي صَفاءِ
فَباطِنُهُ مَلجَأٌ لِلأَسى   وَظاهِرُهُ مَيسَمٌ لِلوَفاءِ
وَقَد كانَ مِمّا يُضيءُ السَريْـ   ـرَ وَالبَهوَ يَملأُهُ بِالبَهاءِ
أَلَحدٌ حَوى حَيَّةَ المُلحِدينَ   وَلَدنُ ثَرىً حالَ دونَ الثَراءِ
فَمازالَ يَفرَعُ تِلكَ العُلى   مَعَ النَجمِ مُرتَدِياً بِالعَماءِ
وَيَصعَدُ حَتّى لَظَنَّ الجَهولُ   أَنَّ لَهُ مَنزِلاً في السَماءِ

منمنمة إيرانية 1565 – 1556، تمثل قصة يوسف وزليخة – واشنطن، قاعة Freer للفنون.



[58] الجداء: النفع والعطاء ومنه الجدوى.

هجاء

أَيوسُفُ جِئتَ بِالعَجَبِ العَجيبِ   تَـرَكتَ الـنـاسَ في شَـكٍّ مُـريبِ
سَـمِـعتُ بِـكُـلِّ داهِـيَـةٍ نَـآدٍ   وَلَـم أَسـمَـع بِـسَـرّاجٍ أَديبِ
أَمـا لَـو أَنَّ جَـهـلَـكَ كـانَ عِـلـماً   إِذَن لَـنَـفَـذتَ في عِـلـمِ الـغُـيوبِ
وَمـا لَـكَ بِـالـغَـريبِ يَـدٌ وَلَـكِـنْ   تَـعـاطيكَ الـغَـريبَ مِـنَ الـغَـريبِ

لم نسجد !

سَلِّم عَلى الرَبعِ مِن سَلمى بِذي سَلَمِ   عَـلَـيـهِ وَسْـمٌ مِـنَ الأَيّـامِ وَالـقِـدَمِ
مـا دامَ عَـيشٌ لَـبِـسـنـاهُ بِـسـاكِـنِـهِ   لَـدنـاً وَلَـو أَنَّ عَـيشـاً دامَ لَـم يَـدُمِ
يا مَـنـزِلاً أَعـنَـقَـتْ فيهِ الجَنوبُ عَلى   رَسْـمٍ مُـحـيـلٍ وَشِـعـبٍ غَـيرِ مُـلـتَـئِمِ
كـانَت لَـنـا صَـنَـماً نَحنو عَلَيهِ وَلَم   نَسجُدْ كَما سَجَدَ الأَفشينُ [59] لِلصَنَمِ
زارَ الخَـيـالُ لَـهـا لا بَـل أَزارَكَـهُ   فِـكـرٌ إِذا نـامَ فِـكـرُ الخَلقِ لَـم يَـنَـمِ
ظَـبـيٌ تَـقَـنَّـصـتُـهُ لَـمّـا نَـصَـبتُ لَـهُ   في آخِـرِ الـلَـيـلِ أَشـراكـاً مِـنَ الحُلُمِ
ثُـمَّ اِغـتَـدى وَبِـنـا مِـن ذِكـرِهِ سَـقَـمٌ   بـاقٍ وَإِن كـانَ مَـشـغـولاً عَـنِ الـسَـقَـمِ



الخليفة السلجوقي على عرشه عن مخطوطة تعود للقرن الثالث عشر.

[59] الأفشين: هو حيدر بن كاووس، أحد القادة الأتراك المشهورين في عهد المعتصم العباسي، قتله الأخير وصلبه بتهمة التمرد.

مساءلة لدى الكتاتيب عن تصوير لمقامات الحريري – الواسطي 1237م – المكتبة الوطنية، باريس.



غزو بغداد من قبل المغول عن مخطوطة أخبار رشيد الدين بداية القرن الرابع عشر – متحف برلين.

الحرقة القديمة

وَما خَلْفَ أَجفاني شُؤونٌ بَخيلَةٌ   وَلا بَينَ أَضلاعي لَها حَجَرٌ صَلدُ
وَما أَحَدٌ طارَ الفِراقُ بِقَلبِهِ   بِجَلدٍ وَلَكِنَّ الفِراقَ هُوَ الجَلدُ
وَمَن كانَ ذا بَثٍّ عَلى النَأيِ طارِفٍ   فَلي أَبَداً مِن صَرفِهِ حُرَقٌ تُلدُ

شواهد الوجوه

كَتَبت أَوجُهَهُم مَشقاً وَنَمنَمَةً   ضَرباً وَطَعناً يَقاتُ الهامَ وَالصُلُفا
كِتابَةً لا تَني مَقروءَةً أَبَداً   وَما خَطَطتَ بِها لاماً وَلا أَلِفا
فَإِن أَلَظّوا[60] بِإِنكارٍ فَقَد تُرِكَت   وُجوهُهُم بِالَّذي أَولَيتَها صُحُفا

فراق على فراق..

يَومَ الفِراقِ لَقَد خُلِقتَ طَويلا   لَم تُبقِ لي جَلداً وَلا مَعقولا
لَو حارَ مُرتادُ المَنِيَّةِ لَم يُرِدْ   إِلّا الفِراقَ عَلى النُفوسِ دَليلا
قالوا الرَحيلُ فَما شَكَكتُ بِأَنَّها   نَفسي عَنِ الدُنيا تُريدُ رَحيلا
الصَبرُ أَجمَلُ غَيرَ أَن تَلَذُّذاً   نَفسي عَنِ الدُنيا تُريدُ رَحيلا
طأتَظُنني أجِدُ السَّبيلَ إلى العَزا   وَجَدَ الحِمامُ إذنْ إليَّ سَبيلا
رِدُّ الجَموحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً   مِن ردِّ دَمْعٍ قدْ أصابَ مَسيلا
ذَكَرَتكُمُ الأَنواءُ ذِكرِيَ بَعضَكُم   فَبَكَت عَلَيكُم بُكرَةً وَأَصيلا
وَبِنَفسِيَ القَمَرُ الَّذي بِمُحَجَّرٍ   أَمسى مَصوناً لِلنَوى مَبذولا
إِنّي تَأَمَّلتُ النَوى فَوَجَدتُها   سَيفاً عَلَيَّ مَعَ الهَوى مَسلولا
لا تَأخُذيني بِالزَمانِ فَلَيسَ لي   تَبَعاً وَلَستُ عَلى الزَمانِ كَفيلا

عراء الفصول!

لَم يَبقَ لِلصَيفِ لا رَسمٌ وَلا طَلَلُ   وَلا قَشيبٌ فَيُستَكسى وَلا سَمَلُ
عَدلٌ مِنَ الدَمعِ أَن يُبكى المَصيفُ كَما   يُبكى الشَبابُ وَيُبكى اللَهوُ وَالغَزَلُ
يُمنى الزَمانِ طَوَت مَعروفَها وَغَدَت   يُسراهُ وَهيَ لَنا مِن بَعدِها بَدَلُ
ما لِلشِتاءِ وَما لِلصَيفِ مِن مَثَلٍ   يَرضى بِهِ السَمعُ إِلّا الجودُ وَالبَخَلُ
أَما تَرى الأَرضَ غَضبى وَالحَصى قَلِقٌ   وَالأُفقَ بِالحَرجَفِ النَكباءِ يَقتَتِلُ[61]
مَن يَزعَمُ الصَيفَ لَم تَذهَب بَشاشَتُهُ   فَغَيرُ ذَلِكَ أَمسى يَزعُمُ الجَبَلُ
إِذا تَظَلَّمتَ مِن أَرضٍ فُصِلتَ بِها   كانَت هِيَ العِزُّ إِلّا أَنَّها ذُلُلُ

[60] الإلظاظ: لزوم الشيء

[61] الحرجف: الرياح الباردة، والنكباء منها: التي تستدير وتبدل جهات هبوبها.

منمنمات منغولية – متحف الفنون الجميلة، دلهي.

عهد کرد بعد از عهد و شرط کردن دروازه را وا کرده ملازمت کرد بعد از دیدن علی دوست
درمیان قلعه در حویلی مناسبی فرود آمده شد



لو يمشي المكان!

دِيَمةٌ سَـمـحَـةُ الـقِـيـادِ سَـكـوبُ   مُـسـتَـغـيـثٌ بِـهـا الـثَـرى المَكـروبُ
لَـو سَـعَـت بُـقـعَـةٌ لإِعـظـام أخرى   لَـسَـعـى نَـحـوَهـا المَكـانُ الجَديبُ

عناق الأشلاء

فَـمَـن رَآني مِـنَ الأَقـوام كُـلِّـهِـم   فَـقَـد رَأى مُحسِـناً مِن غَيرِ إِحسانِ
جـاني نَـخـيـلِ سِواهُ كـانَ أَلَّـفَـهـا   غَـرسـاً وَسـاكِـنُ قَـصـرٍ غَيرُهُ الـبـاني
ذو الـوُدِّ مِـنّـي وَذو الـقُـربى بِـمَـنـزِلَـةٍ   وَإِخـوَتـي أُسـوَةٌ عِـنـدي وَإِخـواني
لا تُخلِقَنْ خُلُقي فيهِمْ وَقَد سَطَعَت   نـاري وَجَـدَّدَ مِـن حـالي الجَديـدانِ
في دَهـرِيَ الأَوَّلِ المَذمـوم أَعـرِفُـهُـم   فَـالآنَ أُنـكِـرُهُـم في دَهـرِيَ الـثـاني
عِـصـابَـةٌ جـاوَرَت آدابُـهُـم أَدَبـي   فَـهُـمْ وَإِنْ فُـرِّقـوا في الأَرضِ جيراني
أَرواحُـنـا في مَـكـانٍ واحِـدٍ وَغَـدَتْ   أَبـدانُـنـا في شَـآمٍ أَو خُـراسـانِ

أقارب الموت!

قالوا الرَحيلُ غَداً لا شَكَّ قُلتُ لَهُم   الـيَـومَ أَيـقَـنـتُ أَنَّ اسمَ الحِمامِ غَـدُ
كَـأَنَّـمـا الـبَـيـنُ مِـن إِلحاحِـهِ أَبَـداً   عَـلى الـنُـفوسِ أَخٌ لِـلمَوتِ أَو وَلَـدُ

أرضي وسمائي..

مـا سَـرَّني بِـخِـداجِـهـا مِـن حُـجَّـةٍ   مـا بَـيـنَ أَنـدَلُـسٍ إِلى صَـنـعـاءِ[62]
أَجـرٌ وَلَـكِـن قَـد نَـظَـرتُ فَـلَـم أَجِـدْ   أَجـراً يَـفـي بِـشَـمـاتَـةِ الأَعـداءِ
لَو سِرتَ لالتَقَتِ الضُلوعُ عَلى أَسىً   كَـلِـفٍ قَـلـيـلِ الـسِـلـمِ لِـلأَحشـاءِ
وَلَـجَـفَّ نُـوّارُ الـكَـلامِ وَقَـلَّـمـا   يُـلـفـى بَـقـاءُ الـغَـرسِ بَـعـدَ الماءِ
فَـالجَوُّ جَـوّي إِن أَقَـمـتَ بِـغِـبـطَـةٍ   وَالأَرضُ أَرضـي وَالـسَـمـاءُ سَـمـائي

حبيس الهجران

بِنَفسي حَبيبٌ سَوفَ يُثكِلُني نَفسي   وَيَجعَلُ جِسمي تُحفَةَ اللَحدِ وَالرَمسِ
جَحَدتُ الهَوى إِن كُنتُ مُذ جَعَلَ الهَوى   مَحاسِنَهُ شَمسي نَظَرتُ إِلى الشَمسِ
لَـقَـد ضـاقَـت الـدُنيا عَلَيَّ بِأَسرِها   بِـهِـجـرانِـهِ حَـتّـى كَـأَنّـيَ في حَـبْـسِ
أُسَـكِّـنُ قَـلـبـاً هـائِـمـاً فـيـهِ مَـأتَـمٌ   مِـنَ الشَـوقِ إِلا أَنَّ عَـيـنِـيَ في عُـرْسِ
وَإِنّـي لأَخْـشَـى إِنْ تَـراقَـتْ أُمـورُهُ   بِـهِ أَنْ يَـثـورَ الجِنُّ فـيـهِ عَلى الإِنْسِ

مرثية لبغداد

لَـقَـد أَقـامَ عَـلـى بَـغـدادَ نـاعـيـهـا   فَـلـيَـبـكِـهـا لِخَرابِ الـدَهـرِ بـاكـيـهـا
كـانَت عَلى ما بِـهـا وَالحَربُ موقَدَةٌ   وَالـنـارُ تُـطـفِـئُ حُـسـنـاً في نَـواحيـهـا
تُرجى لَـهـا عَـودَةٌ في الـدَهـرِ صالِحَةٌ   فَالآنَ أَضـمَـرَ مِـنـهـا الـيَـأسَ راجيـهـا
مِثلَ الـعَـجـوزِ الَّـتـي وَلَّـت شَـبـيـبَـتُـهـا   وَبـانَ عَـنـهـا كَـمـالٌ كـانَ يُحظيـهـا
لَـزَّت بِـهـا ضَـرَّةٌ زَهـراءُ واضِـحَـةٌ   كَالشَـمـسِ أَحسَـنُ مِنها عِندَ رائيها

تيه الصور!

نَـشَـرتُ فـيـكَ رَسـيـسـاً كُـنـتُ أَطويـهِ   وَأَظـهَـرَتْ لَـوعَـتـي ما كُـنـتُ أُخـفـيـهِ
إِن كـانَ وَجـهُـكَ لي تَـترى مَحاسِـنُـهُ   فَـإِنَّ فِـعـلَـكَ بـي تَـتـرى مَـسـاويـهِ
مُـرتَـجَّـةٌ في تَـهـاديـهِ أَسـافِـلُـهُ   مُـهـتَـزَّةٌ في تَـثَـنّـيـهِ أَعـالـيـهِ
تـاهَـتْ عَـلى صورَةِ الأَشـيـاءِ صورَتُهُ   حَـتّـى إِذا كَـمَـلَـتْ تـاهَـتْ عَلى الـتـيـهِ

المصلوبون..
مسافرون على أفراس من خشب!

رَمَـقـوا أَعـالي جِـذعِـهِ فَـكَـأَنَّـمـا   وَجَـدوا الـهِـلالَ عَـشِـيَّـةَ الإِفـطـارِ
سُـودُ الـثـيـابِ كَـأَنَّـمـا نَـسَـجَـتْ لُـهُـمْ   أَيْـدِي الشُّـمُـوسِ مَـدَارِعـاً مِـنْ قَـارِ
بَـكَـرُوا وأَسْـرَوْا في مُـتُـونِ ضَـوامِـرٍ   قِـيـدَتْ لَـهُـمْ مِـن مَـرْبَـطِ الـنَـجّـارِ
لا يَـبْـرَحُـون ومَـنْ رَآهُـم خَـالَـهُـمْ   أَبَـداً عَـلـى سَـفَـرٍ مِـنَ الأَسْـفـارِ

شاعر.

غَـرُبَـت خَـلائِـقُـهُ وَأَغـرَبَ شـاعِـرٌ   فـيـهِ فَـأَحسَـنَ مُـغـرِبٌ في مُـغـرِبِ

مكافأة الجهالة!

يَـنـالُ الـفَـتـى مِن عَيشِهِ وَهوَ جاهِلٌ   وَيُـكـوي الـفَـتـى في دَهـرِهِ وَهوَ عـالِـمُ
وَلَو كانَت الأَرزاقُ تَجري عَلى الحِجا   هَـلَـكْـنَ إِذَن مِن جَهلِهِنَّ الـبَـهـائِـمُ
جَزى الـلَـهُ كَفّاً مِلؤُها مِن سَعادَةٍ   سَـعَـتْ في هَـلاكِ المالِ وَالمالُ نـائِـمُ
فَلَم يَجتَمِع شَرقٌ وَغَربٌ لِقاصِدٍ   وَلا المَجدُ في كَفِّ اِمرِئٍ وَالـدَراهِـمُ

ما لا يؤتمن.

أَلَـم تَـرَني خَـلَّيتُ نَفسـي وَشـانَـهـا   وَلَـم أَحـفِـلِ الـدُنـيـا وَلا حَـدَثـانَـهـا
لَـقَـد خَـوَّفَـتـني الـنـائِـبـاتُ صُـروفَـهـا   وَلَـو أَمَّـنَـتـنـي مـا قَـبِـلتُ أَمـانَـهـا
وَكَـيـفَ عَـلى نارِ الـلَـيالي مُعَرَّسي   إِذا كـانَ شَـيـبُ الـعـارِضَـيـنِ دُخـانَـهـا

الأرض الباردة.

أَرضٌ مُـصَـرَّدَةٌ وَأُخـرى تُـثـجَـمُ[63]   مِـنـهـا الَّـتـي رُزِقَـت وَأُخـرى تُحـرَمُ
فَـإِذا تَـأَمَّـلـتَ الـبِـلادَ رَأَيـتَـهـا   تُـثـري كَـمـا تُـثـري الـرِجـالُ وَتُـعـدِمُ

تجارب.

إِذا جـارَيـتَ في خُـلُـقٍ دَنـيـئـاً   فَـأَنـتَ وَمَـن تُـجـاريـهِ سَـواءُ
لَـقَـد جَـرَّبـتُ هَـذا الـدَهـرَ حَـتّـى   أَفـادَتـنـي الـتَـجـارِبُ وَالـعَـنـاءُ
يَـعـيـشُ المَرءُ مـا اِسـتَـحـيـا بِـخَـيـرٍ   وَيَـبـقـى الـعـودُ مـا بَـقِـيَ الـلِـحـاءُ

[62] أصل الخداج: الوليد الذي يجيء قبل الوقت.. وكل نقصان في شيء يستعار له الخداج.

[63] مصردة باردة، وثجمت: أمطرت مطراً سريعاً دائماً

وعد.

وَلَـقَـد وُعِـدتُ مَـواعِـداً فَـنَـبَـذتُـهـا
خَـلـفـيْ وَوَعـدُكَ مـايَـزالُ تـجـاهـي

هُوَ في الغِنى غَرسي وَغَرسُكَ في العُلى
أَنّـى اِنصَــرَفـتَ وَأَنـتَ غَـرسُ الـلَـه

قلُّوا وإنْ كَثروا

قالوا أَتَبكي عَلى رَسمٍ فَقُلتُ لَهُم
مَـن فـاتَـهُ الـعَـينُ هَـدّى شَـوقَـهُ الأَثَـرُ

إِنَّ الـكِـرامَ كَـثيرٌ في الـبِـلادِ وَإِنْ
قَـلّـوا كَـمـا غَـيرُهُـم قُـلٌّ وَإِن كَـثُـروا

لا يَـدهَـمَـنَّـكَ مِـن دَهـمـائِهِـم عَـدَدٌ
فَـإِنَّ جُـلَّـهُـمُ بَـل كُـلَّـهُـمْ بَـقَـرُ

سيأكُلنا الدهر

سَيَأكُلُنا الدهرُ الَّذي غالَ مَن نَرى
وَلا تَنقَضي الأَشياءُ أَو يُؤكَلَ الدَهر

وَأَكـثَـرُ حـالاتِ اِبـنِ آدَمَ خِـلـقَـةٌ
يَضِـلُّ إِذا فَكَّرتَ في كُنهِها الفِكرُ

فَـيَـفـرَحُ بِـالشَـيءِ المُعـارِ بَـقـاؤُهُ
وَيَـحـزَنُ لَـمّـا صـارَ وَهـوَ لَـهُ ذُخـرُ

قرية النمل

وَكَأسٍ كَمَعسولِ الأَماني شَرِبتُها
وَلَكِنَّها أَجلَتْ وَقَد شَرِبَت عَقلي

إِذا عوتِبَت بِالماءِ كانَ اِعتِذارُها
لَهيباً كَوَقعِ النارِ في الحَطَبِ الجَزلِ

إِذا هِيَ دَبَّت في الفَتى خالَ جِسمَهُ
لِما دَبَّ فيهِ قَريَةً مِن قُرى النَملِ

إِذا ذاقَــهــا وَهــيَ الحَيــاةُ رَأَيــتَــهُ
يُعَبِّسُ تَعبيسَ المُقَدَّمِ لِلقَتلِ

بيعة الشمس

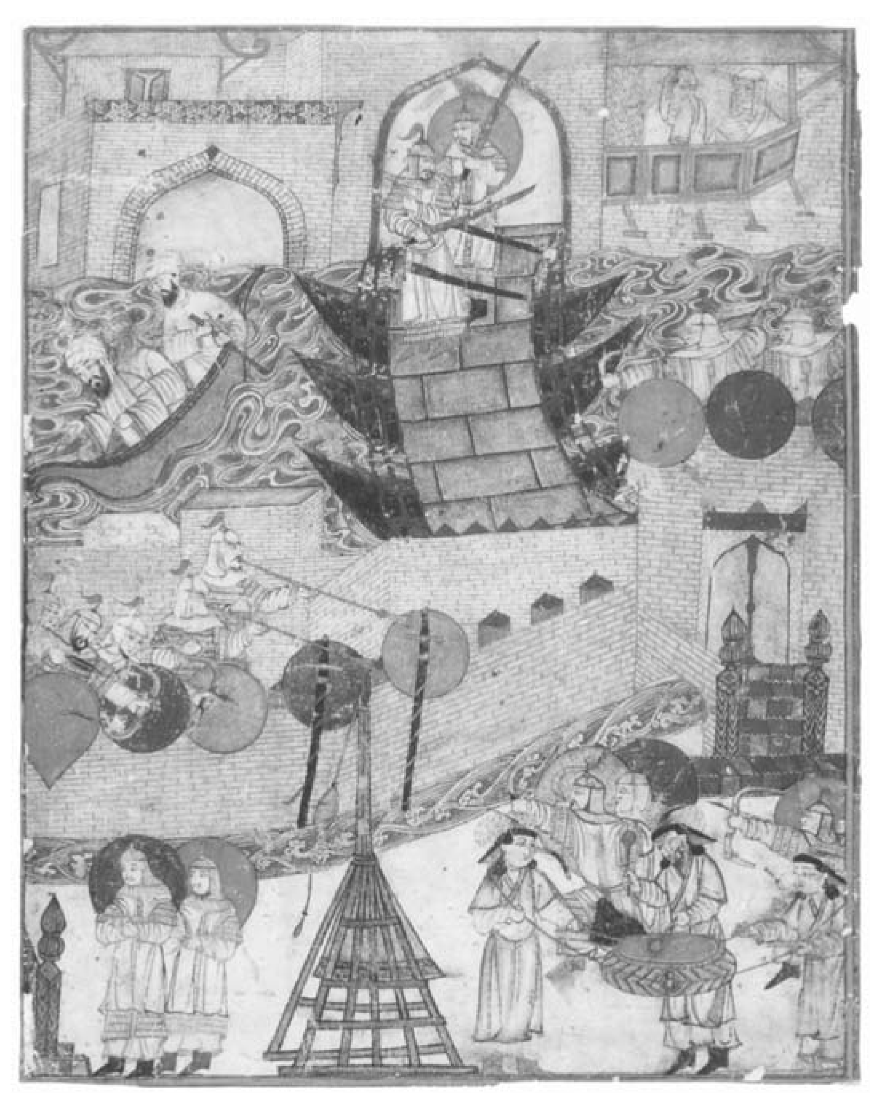
مـا إِن رَأى الأَقـوامُ شَـمـساً قَـبـلَـهـا
أَفَـلَـت فَـلَـم تُـعـقِـبْـهُـمُ بِظَلامِ

لَـو يَـقـدِرونَ مَشَوا عَلى وَجَناتِهِمْ
وَعُـيـونِـهِـم فَـضْـلاً عَـنِ الأَقـدامِ

الاسكندر يحارب داريوس – منمنمة إيرانية، القرن السادس عشر – المكتبة الوطنية، باريس.



فرسان الاسكندر عن مخطوطة الشاهنامة / تبريز للفردوسي 1335م – متحف الفنون، كامبردج.



الأرض في عينيه دار

مَضى الأَملاكُ فَانقَرَضوا وَأَمسَت ... سَراةُ مُلوكِنا وَهُمُ تِجارُ
وُقوفٌ في ظِلالِ الذَمِّ تُحمى ... دَراهِمُها وَلا يُحمى الذِمارُ
فَلَو ذَهَبَت سِناتُ الدَهرِ عَنه ... وَأُلقِيَ عَنْ مَناكِبِهِ الدِثارُ
لَعَدَّلَ قِسمَةَ الأَرزاقِ فينا ... وَلَكِنْ دَهرُنا هَذا حِمارُ
سَيَبتَعِثُ الرِكابَ وَراكِبيها ... فَتىً كَالسَيفِ هَجْعَتُهُ غِرارُ
أَطَلَّ عَلى كِلا الآفاقِ حَتّى ... كَأَنَّ الأَرضَ في عَينَيهِ دارُ
يَقولُ الحاسِدونَ إِذا انصَرَفنا ... لَقَد قَطَعوا طَريقاً أَو أَغاروا

قرابة الأدب

إِن يُكْدَ[64] مُطَّرَفُ الإِخاءِ فَإِنَّنا ... نَغدو وَنَسري في إِخاءٍ تالِدِ
أَو يَختَلِفْ ماءُ الوِصالِ فَماؤُنا ... عَذبٌ تَحَدَّرَ مِن غَمامٍ واحِدِ
أَو يَفتَرِقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفُ بَينَنا ... أَدَبٌ أَقَمناهُ مُقامَ الوالِدِ

وحشة نيسابور

صَريعُ هَوىً تُغاديهِ الهُمومُ ... بِنَيسابورَ لَيسَ لَهُ حَميمُ
غَريبٌ لَيسَ يُؤنِسُهُ قَريبٌ ... وَلا يَأوي لِغُربَتِهِ رَحيمُ
مُقيمٌ في دِيارِ نَوىً شَطونٍ ... يُشافِهُهُ بِها كَمَدٌ مُقيمُ
يَمُدُّ زِمامَهُ طَمَعٌ مُقيمٌ ... تَدَرَّعَ ثَوبَهُ رَجُلٌ عَديمُ
فَلا عَجَبٌ وَإِن كَظَّتْ رِكابي ... بِأَرضٍ طارَ طائِرُها المَشومُ[65]
فَقَد فارَقتُ بِالغَربِيِّ داراً ... بِأَرضِ الشامِ حَفَّ بِها النَعيمُ
هِيَ الوَطَنُ الَّذي فارَقتُ فيهِ ... وَفارَقَني المُساعِدُ وَالنَديمُ
فَإِن أَكُ قَد حَلَلتُ بِدارِ هونٍ ... صَبَوتُ بِها فَقَد يَصبو الحَليمُ
أَلومُكَ لا أَلومُ سِواكَ دَهراً ... قَضى لِيْ بِالَّذي يَقضي سَدومُ
إِذا أَنا لَم أَلُمْ عَثَراتِ دَهرٍ ... أُصِبتُ بِها الغَداةَ فَمَن أَلومُ
وَفي الدُنيا غِنىً لَم أَنبُ عَنهُ ... وَلَكِن لَيسَ في الدُنيا كَريمُ

[64] أكدى: أعطى قليلاً، أو شحَّ وبخل، جاء في القرآن الكريم: وأعطى قليلاً وأكدى: النجم 34، والفعل المضارع «يكدى» مجزوم هنا بالشرط.

[65] المشوم من الشؤم، وطيور الشؤم لدى العرب كثيرة منها: الغراب، والأخيل والقز، وطير العراقيب.

تيمورلنك في سمرقند – منمنمة فارسية يعود تاريخها إلى 1486م – متخف اسطنبول.

تيمورلنك يستقبل حفيده – مخطوطة ايرانية – متحف لندن.



هرم من الرؤوس بعد غزو تيمورلنك لبغداد. منمنمة هندية تعود للعصر المنغولي.



لا دهشة للحجاب.

أنضَـيتُ في هـذا الأنـام تـجـاربـي
وَبـلَـوتُـهُـم بـمُـفَـحَّـصات مَـذاهـبي

وَذَمَلتُ في الأيَّام حَتّى أسحَتَتْ
شَطّي سَنامي وَانتحَتْ في غاربي [66]

مُـتَـجَـشِّـماً سُـبُـلَ المَطامِح طالِـباً
مـنـهـا وَفـيـهـا شَـأوَ رزق هـارب

لا تُـدهِـشَـنّـي بـالحِجاب فَـإِنَّـني
فَـطِـنُ الـبَـديـهَـةِ عـالِـمٌ بـمَـواربي

لا تَـكـلَـفَـنَّ وَأَرضُ وَجـهِـكَ صَخرَةٌ
في غَـير مَـنـفَـعَـةٍ مـؤونَـةَ حـاجِـب

خُذْ مِن غَدي الجائي بِخِزيِكَ ضِعْفَ ما
أَعـطَـيتَني في صَدْرِ أمسِ الـذاهب

فَـلأنحفَـنَّ السَـفـرَ فـيـكَ بِـشُـرَّدٍ
أُنـس يَـقُـمْـنَ مَـقـامَ زادِ الـراكِب

الهوى ينسي الهوى!

بَيَّتَ قَلبي مِن هَواكَ عَلى الطَوى
وَرَحَلتُ مِـن بَـلَـدِ الصَـبـابَـةِ وَالجَوى

هَـيـهـاتَ كُنتُ مِنَ الحَداثَةِ وَالصِبا
في غَـفـلَـةٍ إِنَّ الـهَـوى يُنسي الـهَـوى

كنز الذنوب

مـا الـذَنْبُ يـا كَـنـزَ الـذُنُـوبِ مَـعـاً
لَـكَ في الـهَـوى لَـكِـنَّـهُ ذَنـبـي

فَـاسـلَـم وَلا تَـسـلَـم فَـلا عَـجَـبٌ
لَـم تَـنـجُ لُـؤلُـؤَةٌ مِـنَ الـثَـقـبِ

لأجل المجد!

خُذي عَبَراتِ عَينكِ عَن زَماعي
وَصـوني مـا أَزَلتِ مِـنَ الـقِـنـاعِ

أَقِـلّـي قَـد أَضـاقَ بُـكـاكِ ذَرعي
وَمـا ضـاقَـت بِـنـازِلَـةٍ ذِراعـي

وَلَـيـسَـت فَـرحَـةُ الأَوبـاتِ إِلاّ
لموقـوفٍ عَـلـى تَـرَحِ الـوَداعِ

تَـوَجَّعُ أَن رَأَت جِـسـمـي نَحيفاً
كَـأَنَّ المَجـدَ يُـدرَكُ بـالصِـراعِ

السيف المقطوع!

أَصَمَّ بِكَ الناعي وَإِن كانَ أَسمَعا
وَأَصبَحَ مَغنى الجودِ بَعدَكَ بَلقَعا

فَـلَـم أَرَ يَـومـاً كـانَ أَشـبَـهَ سـاعَـةً
بِـيَـومي مِنَ اليَوم الَّذي فيهِ وَدَّعا

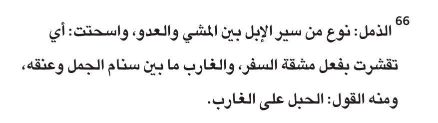
وَوَالـلَـهِ لا تَقضي العُيونُ الَّذي لَهُ
عَلَيها وَلَو صارَت مَعَ الدَمعِ أَدمُعا

فَإِن تُرمَ عَنْ عُمْرٍ تَدانىْ بِهِ المَدى
فَخانَكَ حَتّى لَم يَجِدْ فيْكَ مَنزَعا

فَما كُنتَ إِلاّ السَيفَ لاقىْ ضَرِيبَةً
فَـقَـطَّـعَـهـا ثُـمَّ انـثَـنـى فَـتَـقَـطَّـعا....

معركة قرب كابول عن منمنمة الشاهنامة – متحف اللوفر، باريس.





[66] الذمل: نوع من سير الإبل بين المشي والعدو، واسحتت: أي تقشرت بفعل مشقة السفر، والغارب ما بين سنام الجمل وعنقه، ومنه القول: الحبل على الغارب.



شكيمة العقل.

إذا نوبةٌ نابَتْ أَدرتُ صُروفَها
على الضَّخمِ آراءً لَدى الحادثِ الضَخْمِ
يَداكَ لَنا شَهرا رَبيعٍ كِلاهُما
أَلَذُّ مُصافاةً مِنَ الظِلِّ وَالضُحى
إذا جَفَّ أَطرافُ البَخيلِ مِنَ الأَزمِ
فَفيمَ تَرَكتَ النَصفَ في الوُدِّ بَعدَما
وَأَكرَمُ في اللأواءِ عوداً مِنَ الكَرمِ [67]
رَآهُ الوَرى خَيراً مِنَ النَصفِ في الحُكمِ
أَإِيّايَ جارى القَومُ في الشعرِ ضَلَّةً
طَلَعتُ طُلوعَ الشَمسِ في كُلِّ تَلعَةٍ
وَقَد عايَنوا تِلكَ القَلائِدَ مِن نَظمي
وَأَشرَفتُ إِشرافَ السِماكِ عَلى الخَصمِ
وَما أَنا بِالغَيرانِ مِن دونِ جارِهِ
إِذا أَنا لَم أُصبِحْ غَيوراً عَلى العِلمِ
لَصيقُ فُؤادي مُذ ثَلاثونَ حِجَّةً
وَصَيْقَلُ ذِهني وَالمُرَوِّحُ عَن هَمّي
أَبى ذاكَ صَبرٌ لا يَقيلُ عَلى الأَذى
فُواقاً [68] وَنَفسٌ لا تَمَرَّغُ في الظُلمِ
وَإِنّي إِذا ما الحِلمُ أَحوَجَ لاحِياً
إِلى سَفَهٍ أَفضَلتُ فَضلاً عَلى حِلمي
تَظُنُّ ظُنونَ السوءِ بي إِن لَقيتَني
وَلا وَتَري فيما كَرِهتَ وَلا سَهمي

ليالينا بالرقتين.

بَدَت لِلنَوى أَشياءُ قَد خِلتُ أَنَّها
سَيَبدَأُني رَيبُ الزَمانِ إِذا تَبدو
نَوىً كَانقِضاضِ النَجمِ كانَت نَتيجَةً
مِنَ الهَزلِ يَوماً إِنَّ هَزلَ الهَوى جِدُّ
وَعَينٌ إِذا هَيَّجتَها عادَتِ الكَرى
وَدَمعٌ إِذا استَنجَدتَ أَسرابَهُ نَجدُ
وَما خَلفَ أَجفاني شُؤونٌ بَخيلَةٌ
وَلا بَينَ أَضلاعي لَها حَجَرٌ صَلدُ
وَكَم تَحتَ أَرواقِ الصَبابَةِ مِن فَتىً
مِنَ القَومِ حُرٍّ دَمعُهُ لِلهَوى عَبدُ
وَما أَحَدٌ طارَ الفِراقُ بِقَلبِهِ
بِجَلدٍ وَلَكِنَّ الفِراقَ هُوَ الجَلدُ
وَمَن كانَ ذا بَثٍّ عَلى النَأيِ طارِفٍ
فَلي أَبَداً مِن صَرفِهِ حُرَقٌ تُلدُ
فَلا مَلِكٌ فَردُ المَواهِبِ وَاللُهى
يُجاوِزُ بي عَنهُ وَلا رَشَأٌ فَردُ
لَيالِينا بِالرَقَّتَينِ وَأَهلِها
سَقى العَهدَ مِنكِ العَهدُ وَالعَهدُ وَالعَهدُ
سَحابٌ مَتى يَسحَبْ عَلى النَبتِ ذَيلَهُ
فَلا رَجِلٌ يَنبو عَلَيهِ وَلا جَعدُ
ضَرَبتُ لَها بَطنَ الزَمانِ وَظَهرَهُ
فَلَم أَلقَ مِن أَيّامِها عِوَضاً بَعدُ

الانتقام من الهجر

سَيَعلَمُ الهَجرُ أَنّا مِن إِساءَتِهِ
وَظُلمِهِ بِالوِصالِ العَذبِ نَنتَقِمُ
أَمّا الوُجوهُ فَكانَت وَهيَ عابِسَةٌ
أَمّا القُلوبُ فَكانَت وَهيَ تَبتَسِمُ
سَعايَةٌ مِن رِجالٍ لا طَباخَ [69] بِهِم
قالوا بِما جَهِلوا فينا وَما عَلِموا

معركة جالديران – منمنمة إيرانية 1525 – متحف اسطنبول.

من أحب؟

راحَتي في البُكاءِ حَتّى أَراكا
إِنَّ لي مِنكَ شاغِلاً عَن سِواكا
وَإِذا قيلَ مَن تُحِبُّ تَخَطّا
كَ لِساني وَأَنتَ في القَلبِ ذاكا

منمنمة هندية تعود إلى 1526م تمثل معركة.





[67] الأزم: الشدة والقحط، ومنه الأزمة، واللأواء: المحنة

[68] يقيل: من القيلولة في منتصف النهار، والفواق: برهة قصيرة من الزمن في النهار الواحد، تقول العرب «فواق ناقة» أي الزمن بين حلبتين.

[69] لا طباخ لهم: لا عقول لهم

من هم؟

قَومٌ هُمُ أَمِنوا قَبلَ الحَمام بِها　　مِن بَينِ ساجِعِها الباكي وَنائِحِها
كانوا الجِبالَ لَها قَبلَ الجِبال وَهُم　　سالوا وَلَمْ يَكُ سَيلٌ في أَباطِحِها

خاتم الخوف

كَيفَ يُضْحي برَأس عَلياءَ مُضْحٍ　　وَجَناحُ السُمُوِّ مِنهُ مَهيضُ
هِمَّةٌ تَنطَحُ النُجومَ وَجَدٌّ　　آلِفٌ لِلحَضيض فَهوَ حَضيضُ
كَم فَتىً ذَلَّ لِلزَمانِ وَقَد أَلـ　　قى مَقاليدَهُ إِلَيهِ القَبيض[72]
قَد فَضَضنا مِنْ بيْدِهِ خاتَمَ الخَو　　فِ وَما كُلُّ خاتَمٍ مَفضوضُ

غزل صوفي.

مَنَحتُكَ وُدّاً كانَ طِفلاً فَقَد نَشا　　وَأَبدَيتَ لي جِسماً مِنَ الوُدِّ موحِشا
أَرى ثَمَرَ الحُسنِ الَّذي قَد غَرَستُهُ　　وَأَبدَيتَ لي جِسماً مِنَ الوُدِّ موحِشا
طَوَلي يا خَلِيَّ الصَدْرِ مِن لَوعَةِ الهَوى　　حَشاً لَستُ أَدري جَمرَةٌ هِيَ أَم حَشا
فَداوِ سَقاماً مِنهُ في الجِسمِ فاشِياً　　كَما الحُسنُ في ساحاتِ وَجهِكَ قَد فَشا
فَأُقسِمُ لَو تَبدو لِعَينِ مُرَقِّشٍ　　لأذهَلْتَ عَن أَسماءَ حَقّاً مُرَقِّشا

[70] الكهل ما بين الثلاثين إلى الخمسين، لكن المقصود هنا العقل والحكمة، جاء في القرآن الكريم «ويكلم الناس في المهد وكهلا» آل عمران / 46، والحبر: العالم «بتحبير الكلام» وتأويله وتحسينه.

[71] غيث همع: أي سحاب ماطر على هيئة هطول.

[72] القبيض: أي الركب السائر بسرعة، ويقال للرجل الحسن التدبير في مقاليد الأمور: القبيض، أي القادر على سوق الركب دون هياج.

منمنمة منغولية تعود لعام 1615 تمثل الـ «جاهانجير» يحمل صورة أبيه – متحف غيميه، باريس.

محمد الفاتح – 1480 – متحف اسطنبول.



رؤيا الشهيد.

رَأَيتُهُ بِنِجادِ السَيفِ مُحتَبِياً　　كَالبَدرِ حينَ جَلَتْ عَن وَجهِهِ ظُلَمُه
في رَوضَةٍ قَد عَلا حافاتِها زَهَرٌ　　عَلِمتُ عِندَ اِنتِباهي أَنَّها نِعَمُه
فَقُلتُ وَالدَمعُ مِن حُزنٍ وَمِن فَرَحٍ　　يَجري وَقَد مَلأَ الخَدَّينِ مُنسَجِمُه
أَلَم تَمُت يا شَقيقَ النَفسِ مُذ زَمَنٍ؟　　فَقالَ لي: لَم يَمُتْ مَنْ لَم يَمُتْ كَرَمُه

فخر.

لَنا جَوهَرٌ لَو خالَطَ الأَرضَ أَصبَحَ　　وَبُطنانُها مِنهُ وَظُهرانُها تِبرُ
مَقاماتُنا وَقفٌ عَلى الحِلمِ وَالحِجى　　فَأَمرَدُنا كَهلٌ وَأَشيَبُنا حَبرُ[70]

طيور ورايات..

وَقَد ظُلِّلَتْ عِقبانُ أَعلامِهِ ضُحىً　　بِعِقبانِ طَيرٍ في الدِماءِ نَواهِلِ
أَقامَتْ مَعَ الراياتِ حَتّى كَأَنَّها　　مِنَ الجَيشِ إِلاّ أَنَّها لَم تُقاتِلِ

حفيد البهاليل.

أَنا اِبنُ الَّذينَ اِستُرضِعَ الجودُ فيهِمُ　　وَسُمِّيَ فيهِم وَهوَ كَهلٌ وَيافِعُ
نُجومٌ طَواليعٌ جِبالٌ فَوارِعُ　　غُيوثٌ هَواميعٌ سُيولٌ دَوافِعُ[71]
بَهاليلُ لَو عايَنتَ فَضلَ أَكُفِّهِم　　لأَيقَنتَ أَنَّ الرِزقَ في الأَرضِ واسِعُ

جهات الأيام.

أَأَيّامَنا ما كُنت إِلاّ مَواهِبا   وَكُنت بِإِسعاف الحَبيبِ حَبائِبا
سَنُغرِبُ تَجديداً لِعَهدِكِ فِي البُكا   فَما كُنتِ فِي الأَيّام إِلاّ غَرائِبا
سَلي هَل عَمَرتُ القَفرَ وَهوَ سَباسِبُ   وَغادَرتُ رَبعي مِن رِكابي سَباسِبا
وَغَرَّبتُ حَتّى لَم أَجِد ذِكرَ مَشرِقٍ   وَشَرَّقتُ حَتّى قَد نَسيتُ المَغارِبا
وَمَن لَم يُسَلِّم لِلنَوائِبِ أَصبَحَت   خَلائِقُهُ طُرّاً عَلَيهِ نَوائِبا

استعد..

تُحاوِلُ شَيئاً قَد تَوَلّى فَوَدَّعا   وَهَيهاتَ مِنهُ أَن يَعودَ فَيَرجِعا
خَشُنتَ عَلى التَأديبِ فَهماً وَمَنطِقاً   وَلِنْتَ عَلى الأَيّام لِيتاً وَأَخدَعا
وَأَقبَلَتِ الأَيّامُ تَرتادُ مَصرَعاً   لِجَنبِكَ فَارتَد إِذ تَيَقَّنتَ مَضجَعا

ألم يأن تركي؟

أَلَم يَأنِ تَركي لا عَلَيَّ وَلا لِيا   وَعَزمي عَلى ما فيهِ إِصلاحُ حالِيا
وَقَد نالَ مِنّي الشَيبُ وَابيَضَّ مَفرِقي   وَغالَت سَوادي شُهبَةٌ في قَذالِيا[73]
وَحالَت بِيَ الحالاتُ عَمّا عَهِدتُها   بِكَرِّ اللَيالي وَاللَيالي كَما هِيا
أُصَوِّتُ بِالدُنيا وَلَيسَت تُجيبُني   أُحاوِلُ أَن أَبقى وَكَيفَ بَقائِيا
وَما تَبرَحُ الأَيّامُ تَحذِفُ مُدَّتي   بِعَدِّ حِسابٍ لا كَعَدِّ حِسابِيا
لِتَمحُوَ آثاري وَتُخلِقَ جِدَّتي   وَتُخلِيَ مِن رَبعي بِكُرْهٍ مَكانِيا
أَقولُ لِنَفسي حينَ مالَت بِصَغوِها[74]   إِلى خَطَراتٍ قَد نَتَجنَ أَمانِيا
هَبيني مِنَ الدُنيا ظَفِرْتُ بِكُلِّ ما   تَمَنَّيتُ أَو أُعطيتُ فَوقَ أَمانِيا
أَلَيسَ اللَيالي غاصِباتي بِمُهجَتي   كَما غَصَبَتْ قَبلي القُرونَ الخَوالِيا
فَقَد أَنِسَتْ بِالْمَوْتِ نَفسي لِأَنَّنِي   رَأَيتُ المَنايا يَختَرِمْنَ حَياتِيا
فَيا لَيتَني مِن بَعدِ مَوتي وَمَبعَثي   أَكونُ رُفاتاً لا عَلَيَّ وَلا لِيا

[73] القذال: مؤخرة الرأس

[74] مال بصغوه: التفت كمن يتسمع قوله عن قرب.

كتاب «تعليم فنون القتال والفروسية» – القرن 16 – دار الكتب المصرية.











